دراسات في الكتاب المقدس

الأب اسطفان شربنتييه

تعرّف إلى الكتاب المقدّس

٩

دار المشرق - بيروت

الأب اسطفان شربنتييه

دراسات في الكتاب المقدس

تعرف إلى الكتاب المقدس

نقله الى العربية

الأب صبحي حموي اليسوعي

طبعة خامسة

٩

دار المشرق ش م م - بيروت

سلسلة
«دراسات في الكتاب المقدّس»
المدير: **الأب أنطوان أودو اليسوعيّ**

لا مانع من طبعه

بولس باسيم
النائب الرسولي للاتين
بيروت، ٣١ تموز، ١٩٨٧

ISBN 2-7214-4780-7

دار المشرق ش م م – ص.ب. ٩٤٦، بيروت – لبنان

التوزيع : **المكتبة الشرقيّة**
ص.ب. ١٩٨٦، بيروت – لبنان

جمعيات الكتاب المقدّس في المشرق
ص.ب. ٧٤٧-١١، بيروت، لبنان

ظهر هذا الكتاب بالفرنسيّة تحت العنوان التالي:
Pour une première lecture de la Bible
Cahiers Evangile. N.10
Éditions du Cerf. Paris, 1974.

تصميم الغلاف: **جان قرطباوي**

إن كنتَ تفتح الكتاب المقدس للمرة الأولى

الكتاب المقدس هو أكثر من كتاب، إنه مكتبة!

فالكتاب المقدس هو مجموعة الكتب التي تُخبرنا عن **العهد** الذي قطعه الله مع شعب اسرائيل القديم بواسطة موسى (العهد القديم) والذي أتمَّه في يسوع (العهد الجديد).

الكُتُب

القسم الأول من الكتاب المقدس، أي **العهد القديم**، مشترك بين اليهود والمسيحيين، ولكن مع بعض الفوارق. فاليهود، وبعدهم البروتستانت، لا يعترفون إلَّا بالكتب (أو الأسفار) الموضوعة بالعبرية، وهي أربعون. وأمَّا سائر المسيحيين، فإنهم يضيفون ستة كتب (أو أسفار) وُضعت باليونانية. يطلق البروتستانت على هذه الكتب صفة «المنحولة»، وأمَّا الباقون فإنهم يلقّبونها بـ «القانونية الثانية»، أي انها دخلت ثانياً في القانون، وهو قاعدة الايمان.

والقسم الثاني، أي **العهد الجديد**، وهو واحد عند جميع المسيحيين، يضمّ ٢٧ كتاباً (أو سِفراً).

فـ «مكتبة» المسيحي — أو الكتاب المقدس — تحتوي اذاً على ٦٧ أو ٧٣ كتاباً، يُدلّ عليها عادة بالمختصرات (تجد جدولها في الصفحة ٦). هناك اتّجاه نحو توحيد كتابة المختصرات، ومع ذلك فقد تجد بعض الفوارق الصغيرة بحسب الطبعات.

أنواع الترتيب

اذا أردتَ أن ترتّبَ كتبك على رفوف مكتبتك، كان لديك عدّة طرق. فإن قصدتَ الجمال، رتبتَها بحسب الحجم. وهكذا فقد رُتِّبت رسائل القديس بولس في الكتاب المقدس بحسب طولها. وان قصدتَ الوجهة العملية، رتبتَها بحسب المواضيع. وهكذا فقد جُمعت في الكتاب المقدس

جدول أسفار الكتاب المقدس مع حروفها الأولى

اح	سفر الأحبار	عد	سفر العدد
١ اخ ٢ اخ	سفرا الأخبار	عز	سفر عزرا
ار	نبوءة إرميا	عو	نبوءة عوبديا
اس	سفر أستير	غل	رسالة بولس الى أهل غلاطية
اش	نبوءة اشعيا	ف	رسالة بولس الى فيلمون
اف	رسالة بولس الى أهل أفسس	فل	رسالة بولس الى أهل فيلبي
اي	سفر أيوب	قض	سفر القضاة
با	نبوءة باروك	١ قور ٢ قور	رسالتا بولس الى أهل قورنتس
١ بط ٢ بط	رسالتا بطرس	قول	رسالة بولس الى أهل قولسي
تث	سفر تثنية الاشتراع	لو	انجيل لوقا
١ تس ٢ تس	رسالتا بولس الى أهل تسالونيقي	متى	انجيل متى
تك	سفر التكوين	مثل	سفر الأمثال
جا	سفر الجامعة	مر	انجيل مرقس
حب	نبوءة حبقوق	مرا	مراثي إرميا
حج	نبوءة حجاي	مز	سفر المزامير
حز	نبوءة حزقيال	١ مك ٢ مك	سفر المكابيين
حك	سفر الحكمة	١ مل ٢ مل	سفرا الملوك (او ٣ و ٤ ملوك)
خر	سفر الخروج	ملا	نبوءة ملاخي
دا	نبوءة دانيال	مي	نبوءة ميخا
را	سفر راعوت	نح	سفر نحميا
رسل	أعمال الرسل	نحو	نبوءة نحوم
روم	رسالة بولس الى أهل رومة	نش	سفر نشيد الأناشيد
رؤ	رؤيا يوحنا	هو	نبوءة هوشع
زك	نبوءة زكريا	يش	سفر يشوع بن نون
سي	سفر يشوع بن سيراخ	يع	رسالة يعقوب
صف	نبوءة صفنيا	يو	انجيل يوحنا
١ صم ٢ صم	سفرا صموئيل (او ١ و ٢ ملوك)	١ يو ٢ يو ٣ يو	رسائل يوحنا
طو	سفر طوبيا	يوء	نبوءة يوئيل
طي	رسالة بولس الى طيطس	يون	نبوءة يونان
١ طيم ٢ طيم	رسالتا بولس الى طيموتاوس	يه	سفر يهوديت
عا	نبوءة عاموس	يهو	رسالة يهوذا
عب	الرسالة الى العبرانيين		

أقوال الأنبياء أو رسائل القديس بولس. وان قصدتَ تطوّر الفكر، كان في إمكانك أن ترتّبها بحسب تاريخ ظهورها. وهذا هو الترتيب الذي سنحاول اتّباعه في هذا الكتاب.

ترتيب **العهد الجديد** هو واحد في جميع طبعات الكتاب المقدس المسيحية. أمّا **العهد القديم**، فهناك طريقتان في ترتيبه:

يتضمّن الكتاب المقدس عند اليهود ثلاثة أقسام: الشريعة أو التوراة — ثم الأنبياء وهم مجموعتان: الأنبياء الأولون (وهي الكتب التي نسمّيها خطأً «التاريخية») والأنبياء الثانون (أشعيا وإرميا وحزقيال ودانيال والاثنا عشر الآخرون) — وأخيراً المؤلّفات أو الكتابات.

معظم طبعات الكتاب المقدس اتّبعت ترتيباً مأخوذاً عن الكتاب المقدس اليوناني، فقسّمت الكتب الى أربعة أقسام: كتب الشريعة — كتب التاريخ — كتب الحكمة — كتب الأنبياء.

اللغات

مجمل كتب **العهد القديم** وُضع بالعبرية وقليل من مقاطعها بالآرامية، ما عدا بعض الكتب باليونانية. وابتداءً من القرن السابع ب. م.، قام بعض العلماء اليهود، وقد أطلق عليهم اسم «المسّوريين»، بتثبيت معنى النصوص بتشكيل الحروف، وهذا التشكيل عبارة عن نقاط وُضعت فوق الحروف أو تحتها. ولذلك، يسمّى أحياناً النص العبري «النص المسّوري».

تُرجم العهد القديم الى اليونانية ابتداءً من القرن الثالث ق. م. في الاسكندرية. بحسب الأسطورة، قام بالعمل سبعون كاتباً، كل واحد على حدة، فوصلوا الى ترجمة واحدة تماماً. معنى هذه الأسطورة على جانب من الأهمية: فهي تعني ان مثل هذه الترجمة لا يمكن إلّا أن تكون من وحي الله. ولذلك سُمّيت هذه الترجمة «السبعينية».

أمّا **العهد الجديد**، فقد وُضع كله باليونانية، باللغة «الشائعة» التي كانوا يتكلّمون بها في ذلك الزمان والتي تختلف عن اليونانية الفُصحى.

رجال الاختصاص يعملون ويترجمون انطلاقاً من النصوص الأصلية، أي النصوص العبرية للعهد القديم (بغض النظر عن الأسفار القانونية الثانية) والنصوص اليونانية للعهد الجديد.

من بين الترجمات القديمة، نذكر الترجمة السريانية والترجمة القبطية والترجمة اللاتينية. وهذه الترجمة اللاتينية، المسمَّاة «الشائعة»، هي من عمل القديس هيرونيمس (أواخر القرن الرابع — أوائل القرن الخامس ب. م.).

الفصول والآيات

للاهتداء بسهولة الى فقرات الكتاب المقدس، خطر في بال اسطفانس لانغتون أن يقسّم كل كتاب الى فصول مرقَّمة، وكان ذلك في السنة ١٢٢٦. وقام صاحب المطبعة روبير استيان، في أثناء رحلة في عربة بين ليون وباريس في السنة ١٥٥١، بترقيم كل جملة تقريباً من هذه الفصول، فنشأ التقسيم الى الآيات.

ان هذا التقطيع الى فصول وآيات لا يطابق دائماً معنى النص. فليس علينا أن نراعيه لنفهم

معنى النص. ولكنه أمر عملي، لأن جميع دور النشر قد تبنّته.

ترقيم المزامير

ليس ترقيم المزامير واحداً في الكتاب المقدس العبري وفي الكتاب المقدس اليوناني الذي اتّبعته الترجمة اللاتينية الشائعة. وجرت العادة في أيامنا أن يُعطى الترقيم العبري وأن يليه الترقيم اليوناني بين قوسين.

كيفية الدلالة على المراجع

يُذكر الكتاب أولاً بالمختصر (راجع قائمة المختصرات في الصفحة ٦). يدل الرقم الأول على الفصل، ويدل الرقم الثاني، المنفصل عن الأول بخط مائل، على الآية.

فـ تك ٢ / ٤ يعني: كتاب التكوين، الفصل الثاني، الآية ٤. والخط الأفقي يجمع بين عدّة فصول أو عدّة آيات. فـ تك ٢ — ٥ يعني: التكوين، الفصول ٢ الى ٥ (بما فيه ٥). وتك ٢ / ٤ — ٨ يعني: التكوين، الفصل ٢، الآيات ٤ الى ٨ (بما فيه ٨). حرف العطف «و» يفصل بين مرجعَين مختلفَين في الفصول أو الآيات، وحرف التاء المضاف الى الرقم يعني: والآيات التابعة. فـ تك ٢ / ٤ ت يعني أنه لا بدّ من مراجعة الآية ٤ والآيات التي تتبعها.

هناك اتّجاه نحو تعميم هذه الطريقة، وهي التي استعملناها في هذا الكتاب. ولكن هناك طرقاً أخرى أقل استعمالاً.

قبل أن تفتح الكتاب المقدس

ان الكتاب المقدس، لا سيّما العهد القديم، كتاب يبدو غريباً ومحيِّراً. لدينا فكرة عنه، وان لم نفتحه قط، لأنه جزء من تراث البشرية. ونعلم أيضاً أن هناك عدداً كبيراً من المؤمنين، على اختلافهم، يستشهدون به على أنه كتابهم المقدس. ونسمع في الكنيسة قراءة بعض نصوصه. وكثيراً ما كوَّنّا عنه فكرة فيها شيء من السحر، لكونه كتاباً «مقدَّساً» نبحث فيه، إن كنَّا مؤمنين، عن كلمة الله، ونعدّه نوعاً من كتاب التعليم المسيحي أو كتاباً في الأخلاق المسيحية.

واذا فتحناه، أخذنا الدهش! فإننا نجدَ، في العهد القديم، قصصاً من الماضي لا فائدة لها، وروايات من أخلاقية قديمة قد تخطَّاها الزمن، وحروباً واعتداءات، وقصائد غريبة لا تحملنا على الصلاة، وان سمَّيناها «مزامير»، ونصائح من أخلاقية مبغضة للنساء...

كتاب محيِّر... ولكن هل هو كتاب؟

إنه، قبل كل شيء، مكتبة: ٧٣ كتاباً يتدرّج تدوينها على أكثر من ألف سنة. فالكتاب المقدس هو أكثر من مكتبة جامدة. انه عالَم ومغامرة، مغامرة شعب استحوذ عليه الولع بالله.

إليك مثلاً يزيدك وضوحاً.

مساء يوبيلها الذهبي

عند وصولي الى دارهما، كانا وحدهما، بعد انصراف أولادهما. قضيت الأمسية معهما، وكانت رائعة.

كنتُ أعتقد بأني أعرف هذَين الصديقَين القديمَين حق المعرفة: شخصان بسيطان عاشا سوية نصف قرن، في وسط الأفراح والأحزان. ولكني اكتشفتهما في تلك الليلة بعينَين جديدتَين، لأنهما فتحا لي «كنزهما»: مجرّد علبة كرتون كان فيها

كل شيء : صُوَر ولا شك ، من الصورة العائلية التي يرقى عهدها الى يوم العرس ، الى الصور الخاطفة لابتسامة طفل أو لمشهد عطلة ، وبطاقات بريدية ، مبتذلة وتقليدية ، بعضها مكسَّر. وكانا يشرحان لي ويعلّقان عليها ، وكانت هذه الصور تنقلب الى شهود حزن أو فرح لكل يوم من أيام حياتهما.

وكانت حياتهما أيضاً تنبع من أوراق عائلية : فشجرة العائلة ، وهي عبارة عن قائمة رتيبة من الأسماء القديمة ، كانت تصبح هنا فخراً بالانتماء الى سلالة والتأصّل في أرض. وهناك عقد ايجار لم يعد وثيقة تقليدية ودقيقة ، بل أصبح حلم ُحياة عمل وادّخار قد تحقّق بالحصول على بيت عائليّ. وهناك رسائل تبودلت مدة الخطبة كانت تجاور صلوات وُضعت لأهم ساعات حياتهما. وكانت عظة حفلة الاكليل تجانب قصيدة خرقاء قدّمها أحد الأحفاد.

وانقضت الأمسية كالحلم. كنت أظنّ أني أعرف هذَين الصديقَين القديمَين حق المعرفة ، واذا بي أكتشف ، معهما وفي وقت واحد ، معنى حياتهما. تلك الأوراق وتلك الصور كانت مبتذلة لا قيمة لها. ومع ذلك فقد أصبحت لا تُقدَّر. لم تعدْ أشياء ، بل صارت حياة كاملة مستجمعة ومفسَّرة. وكان كل من هذه الأشياء المتواضعة يتّخذ مكانه في تاريخ ينسج معناه. في لحظة واحدة ، اغتنينا بمئات اللحظات التي عاشاها معاً والتي حفظاها في ذاكرتهما لأنها جمعتهما.

١. خلاصة حياة

كان كل من الأشياء أو من الوثائق الخطية التي يُريني إياها هَذان الزوجان العجوزان يبدو لي ، بفضل تفسيرهما ، خلاصة لساعة من ساعات حياتهما. وكانت هذه «الساعة» تصبح «نصاً». وما كان يثير اهتمامي ، في أولئك الشهود على قصتهما ، لم يكن أولاً الشيء في حدّ ذاته ، كانشاء رسائل الخطوبة مثلاً ، بل الحياة التي استطعتُ ، من خلال أولئك الشهود ، الاتّصال بها.

هذا شأن مؤلّفات الكتاب المقدس كلها ، فإنها ستبدو لنا خلاصات حياة وساعات من ساعات تاريخه أصبحت نصوصاً. ستتمكّن من البحث في انشائها ومفرداتها وتركيبها ، لكن ما يهمّنا قبل كل شيء هو الاتصال ، من خلالها ، بذلك الاختبار الذي تشهد عليه.

٢. حياة مفسَّرة

ليست رواية حدث من الأحداث هو الحدث ، بل بالأحرى الحدث كما يفهمه ويفسّره مَن يرويه. يمكننا أن نقول ، الى حدٍّ ما ، إن الرواية تخلق الحدث بما فيه من جوهر ، أي بمعناه. فهناك أحداث كثيرة لا معنى لها بالنسبة إلينا ، لكنها ، اذا دخلت في قصة حياتنا ، اتّخذت معنى. قد يكتب شاب الى فتاة ليحصل على معلومات مدرسية. هذا أمر مبتذل ، لكنه ان أدّى الى التلاقي والتحاور والحب ، تصبح رسالة «العمل» الأولى هذه ، اذا تحدّثوا عنها ، رسالة «حبّهما» الأولى وأوّل خطوة في مغامرة انتهت بهما الى الزواج. قد يقول لنا صديق شيئاً لا نعيره كبير اهتمامنا ، لأنه يبدو لنا غير مهمّ ، ثم يأتي يوم نهتف فيه ، على أثر أحداث أخرى : «آه ! هذا ما أراد أن يقول لي».

الفنون الأدبية

هناك طرق مختلفة لرواية الأشياء نفسها. فلا يروي الانسان، على سبيل المثل، مرض حبيب له بطريقة واحدة لعائلته وللطبيب ولموظّف الضمان الاجتماعي. ويرويه كذلك بطريقة مختلفة حين كان ذلك الصديق بين الحياة والموت أو بعد شفائه.

وهذه الطرق المختلفة في التعبير عن الأشياء (أو «الفنون الأدبية») توافق، على وجه أعمق، ما لحياة مجموعة من حاجات مختلفة. كل مجموعة موجودة تُنتج بعض النصوص. لنأخذ مثل شركة صغيرة من الصيادين بخيط الصنّارة. انها تميل الى تأليف كتابات من الطراز الحقوقي (نظام الشركة) وشعارات أو جُمل قصيرة للتعريف عن الشركة («رَوِّحْ عن نفسك واذهب الى الصَّيد...») وروايات وأحياناً روايات مزخرفة و«ملاحم» بكل معنى الكلمة، يوصَف فيها صيد شبّوط كأنه حوت. ويقومون في هذه الشركة بحفلات: حفلة مقبّلات في احدى الحانات ومأدبة الجمعية...

وهكذا فكل مجتمع يحتاج الى انشاء أدب، لكي يثبّت وجوده. وكل أمّة لها قوانينها وخُطبها واحتفالاتها وروايتها للماضي وملاحمها وقصائدها وأغانيها...

وبما ان شعب اسرائيل كان موجوداً كشعب، فقد أنشأ أدباً كاملاً بمختلف فنونه. إليك بعض هذه الفنون:

الروايات: لا بدّ من التذكير بالماضي لإضفاء عقلية مشتركة على الجميع. فالانسان، اذا استمع الى قصص أجداده، وعى أنه ينتمي الى العائلة نفسها.

الملحمة: وهنا أيضاً يُروى الماضي، ولكن المراد بذلك إثارة الحمية والاشادة بالأبطال، وان أدّى ذلك الى زخرفة التفاصيل.

والقوانين تنظّم شؤون الشعب وتساعد على العيش المشترك.

والليترجية والاحتفالات والرّتب (الذبائح مثلاً) تعبّر عن هذا العيش المشترك، كما ان مأدبة العيد تلحم أفراد العائلة. وهي، بصفتها أفعالاً دينية، تُظهر صلة الانسان بالله.

والقصائد والترتيل والمزامير هي عبارة عن مشاعر الشعب وايمانه.

وأقوال الأنبياء — وهي أقوال رسمية تُلفَظ من قِبَل الله — تلفت الانتباه الى الايمان الصحيح.

وتعليم الأنبياء والكهنة قد يتمّ بشكل الارشاد، ويتم أيضاً بشكل روايات وقصص (أمثال).

والمؤلّفات الحكمية هي تفكير في المسائل الانسانية الكبرى: ما هي الحياة والموت والحب، لماذا الشرّ والألم...

التمييز بين الفنون الأدبية

لكل طريقة في التعبير حقيقتها، ولكل فنّ حقيقته. لا نأخذ على كتاب صور سندباد كونه أقلّ دقّة من كتاب تاريخ... فلا يحسن أن نقرأ رواية خلق العالم (تك ١) كأنها تعليم علمي (انها قصيدة طقسية) أو رواية عبور البحر الأحمر كتحقيق صحفي مباشر (خر ١٤) (انها ملحمة).

فلا بدّ لنا، كلّما كان الأمر ممكناً، أن نتساءل الى أي فنّ أدبي ينتمي النص الذي نقرأه وبالتالي ما هو نوع حقيقته.

ذلك بأننا لا نفهم إلّا بعد انقضاء الأمر. جميع شهود حياة تلك العائلة، وان كانوا متواضعين، لهم وقع كبير، لأن الزوجَين يكتشفان، من خلالهم، سير حبّهما. لا يخفى على أحد أن كتابة سيرة انسان مشهور، لا يزال حيّاً، هي من الأمور المحرجة، في حين أن موت «انسان عظيم» يثير الكثير من العروض التاريخية لأعماله، اذ تُنشر صور عن طفولته ويُبحث في حياته المدرسية عمّا كان ينبئ بمصيره وهو ما يُكتشَف الآن.

نحن أيضاً، طوالَ حياتنا، نتعلّم من نحن. فباللقاءات والأحداث، نكتشف مزاجنا وأذواقنا والرسالة التي علينا أن نقوم بها، سواء أكانت هامة أم لا. والأمر الذي يُضفي على حياتنا طابعاً مأسوياً هو اننا لا نعرف مَن نحن إلّا في ساعة موتنا.

لا بل نقول إن الموت نفسه ليس هو أجل ذلك الادراك. نحن أدرى، على سبيل المثل، بمَن كان شارل دي فوكو الذي مات وحيداً في الصحراء، من خلال مختلف التلاميذ الذين ينتمون إليه في العالم كله. والثورة الفرنسية مثلاً لا تكشف عن معناها إلّا من خلال مختلف التصريحات عن «حقوق الانسان» التي أثارتها في العالم.

فكل حدث يحمل في ذاته معاني كثيرة لا تنكشف إلّا تدريجياً. قد يكون لرواية هذا الحدث معنى عند تحريرها، ولكن، ان أُعيدت قراءتها بالنسبة الى روايات أخرى، قد تكشف عن معانٍ أخرى أعمق.

سيعرف شعب اسرائيل القديم هذه المغامرة الرائعة، حين يجدّد، بعد انقضاء الأمر، قراءة شهود تاريخه الكثيرين: سيزداد اكتشافاً يوماً بعد يوم لهذه الحقيقة، وهي ان كل شيء كان له معنى وكان متَّجهاً الى مكانٍ معيَّن، أو بالأحرى نحو أحد معروف.

فلا بدَّ لنا من الانتباه، عند قراءة الكتاب المقدس، الى هذه المعاني المختلفة: الى **المعنى الأول**، وهو الذي قصده النص عند تحريره، والى **المعاني الأعمق** التي اكتشفها شعب اسرائيل حين جدَّد قراءته والتي قد نكتشفها نحن أيضاً بفضل قصة حياتنا الشخصية.

٣. لا تحقيق «تاريخي»، بل شهادة «حقيقية»

ان هذَين الزوجَين، اللذَين «يرويان» نصف قرن من الحياة المشتركة، لا يريدان أن يقصّا رواية دقيقة للأحداث التي عاشاها («تحقيق مباشر» مطابق للواقع في جميع تفاصيله)، بل أن يعبّرا لي عن المعنى الذي شعرا به.

يريدان أن يبلّغاني **شهادة** ويزفّا إليّ **بشرى**. قد يكون أحد التفاصيل غير مطابق للواقع تماماً، لكني أعلم بأنه **صحيح**، لأنه المعنى الذي اكتشفاه فيه. ومن خلال تلك التفاصيل «التاريخية»، أكتشف أنا أيضاً «الحقيقة» غير المنظورة.

«تاريخي» و«حقيقي»: كلمتان نخصّصها، مع بعض الكتّاب (ربّما بطريقة لا تخلو من التكلّف)، لاستجلاء الأمور. ان صفة «تاريخي» تدل عادةً، في نظرنا، على ما يمكن رؤيته ولَمسه، على ما يمتّ الى العلم. و«الحقيقي» يدل هنا على ما يجري لكائن فيحوّله في حياته الشخصية أو الجماعية. هاتان الكلمتان تتوافقان، ولكن هل هما تتطابقان؟ إليكَ

مثلاً: الحب الذي يجمع بين كائنَين هو أمر «حقيقي»، هو جزء من قصة حياتهما. ولكن، هل هو «تاريخي» ومنظور وقابل للقياس؟ أجل، هناك علامات تاريخية لهذا الحب، وآثار منظورة، منها، على سبيل المثل، كونهما يتعانقان ويعيشان معاً... لكن هذه الآثار التاريخية هي ملتبسة في حدّ ذاتها. فلا بدّ من تفسيرها بالاستناد الى «الحقيقة» غير المنظورة، فقد يُضطرّ الانسان الى معانقة مَن لا يحبّه. ستكون هذه القبلة دليلاً لي على حبّهما، بقدر ما أكون عالماً، من مصدر آخر، بحبّهما المتبادل، لأني اطّلعت عليه من قولهما أو من قول أناس آخرين، أي بقدر ما «أومن» بالحقيقة غير المنظورة. وعند ذلك، اذا رأيتهما يتعانقان، اشتدّ «ايماني» بحبّهما. وهنا نوافق الأب ريكور على ما يسميه «الدائرة التأويلية»: آمِن لتفهم، وافهَمْ لتؤمن. الأفضل أن نقول: لَولَب، من أن نقول: دائرة، لأن الانسان، اذا سار من الواحد الى الآخر بدون انقطاع، تقدّم في معرفة الحقيقة غير المنظورة وفي ادراك معنى الآثار التاريخية.

كلّ منّا اختبر ذلك، حين حاور أصدقاء غير مؤمنين: نلاحظ ان بعض الأقوال في يسوع تبدو لنا واضحة، تنبثق من النصوص، ان قرأها شخص غير متحيّز، في حين أنها لا تبدو واضحة أبداً في أعين غير المؤمنين، حتى الذين يبحثون عن الايمان. ذلك بأننا نحن نقرأ تلك النصوص في داخل الايمان — فتصبح واضحة لنا و«مُقنعة» — وبأنهم يقرأونها هم في خارج الايمان — فلا تعود تلك النصوص تعني أيّ شيء.

ذلك بأن للنصوص والأحداث تحديدَين. يمكنني، وإن كنت لا أعرف هذَين الشخصَين اللذين يتعانقان، أن أقوم ببحث عام في تلك الحركة، بصفتها تدل عادةً على الحنان. لكني لن أعرف معناها الحقيقي، في حالة معيَّنة، ما لم أدخل في ألفة هذَين الكائنَين.

هذا شأن الكتاب المقدس. فلأنه مؤلَّف بشري، يمكنني أن أبحث فيه، سواء أكنتُ مؤمناً أم لا. لا بل أستطيع أن أدرك المعنى الذي قصده الكتّاب. لكني لن أفهمه حق الفهم، ما لم أشاركهم في البحث، ما لم أسِرْ معهم في الايمان الواحد. قال أحد الأدباء: «كيف أفهم ما لا أحب؟».

٤. كثافة حياة

في أمسية واحدة، بسط لي هذان العجوزان، على الطاولة، نصف قرن من حياتهما. كل شيء كان مجمَّعاً في علبة الكرتون، لكن كل وثيقة كانت تستمدّ شأناً ومعنىً من أن صديقيَّ كانا يعيدانها الى زمنها. لو كُتِبَتِ اليومَ رسائل الحبّ، لبدت لي مضحكة. لكنها تشهد على زمن خطوبتهما البعيد، فأصبح سِحرها القديم مؤثراً.

يجمع الكتاب المقدس في مجلّد واحد ألفَي سنه من التاريخ. ومن المهم أن نستطيع أن نعود فنضع كلاًّ من العناصر التي يتألّف منها في الزمان والثقافة اللذَين حُرِّر فيهما. فعلينا اذاً أن نحاول تأليف تاريخ أدبي للكتاب المقدس، أي أن نعود فنضع، بقدر الامكان، الأدب الكتابي (مختلف الأسفار، لا بل أقسام كل سِفر، عند الاقتضاء) في تاريخ اسرائيل.

قصة حافلة بالخوارق...؟

قراءة العهد القديم أمر عسير. فاللغة والعقلية والأخلاق... كل شيء يبدو لنا غريباً. لكني أتساءل هل الصعوبة ليست فوق ما تظنّه. فإننا، بعد أن نتغلّب على ذلك الشعور بالغربة، نصطدم بهذا السؤال: «بماذا يفيدني كل ذلك؟ تُروى لي قصة عجيبة لا ينقطع فيها الله عن العمل (معجزات، عبور البحر الأحمر...) وعن الكلام (قال الله لابراهيم، لموسى...). اذا افترضنا أني أقبل كل ذلك، لا أرى بماذا يعنيني، أنا الذي أعيش عيشة مبتذلة. يخيَّل إلينا ان ذلك الاله القدير والكثير الكلام مدة ألفَي سنة قد أصبح فجأة أخرس وغائباً! فلماذا لم يعد يتدخّل ليخلّص المظلومين ويمنع الحروب والكوارث؟ لماذا لم يعد يتكلّم؟...».

الاعتراض أساسي، لكنه يدل على أننا نقرأ الكتاب المقدس «بعكس مَيل الشعر». فإن فائدة من أكبر فوائد الإقبال عليه هي، على ما يبدو لي، أن نكتشف ان تاريخ اسرائيل هو تاريخ مبتذل وعاديّ، وأن حياتنا نحن هي قصة رائعة لا ينقطع الله فيها عن العمل والكلام. كيف ذلك؟

حين نقارن بين قصة اسرائيل «الرائعة» وقصة حياتنا «المبتذلة»، نقف على مستوَين مختلفَين. ان رافقت صديقاً مدة ٢٤ ساعة وكان معي آلة تصوير ومسجّل، عرفت كل شيء عنه في ذلك اليوم. ولكن، ان روى هو لي تفاصيل ذلك اليوم، كانت روايته مختلفة كل الاختلاف. روايتي مطابقة للواقع، ولا شك، لكنها خارجية. أمّا روايته فهي داخلية، تعبّر عن المعنى العميق لما عاشه. وقد يكون ذلك اللقاء المبتذل (اعلم بأنه تحدّث، مدة ٤٥ ثانية، الى ذلك الشخص في ذلك الشارع) الحدث الرائع الذي احتلّ في روايته المكان الأكبر.

يحاول المؤرخون وعلماء الآثار أن يستعيدوا تاريخ اسرائيل في تفاصيله ودقته الخارجية. أمّا الكتاب المقدس، فإنه يحدّثنا عن تاريخه الداخلي، عمّا اكتشفه اسرائيل عن الله في حياته.

من شأن قراءة الكتاب المقدس أن تحملنا على النظر الى تاريخنا اليومي المبتذل بعينَي اسرائيل. فنكتشف عندئذ، نحن أيضاً، قصة رائعة لا ينقطع الله فيها عن العمل وعن الكلام إلينا.

كان صديقيَّ العجوزان قد صنّفا ذكرياتهما الى فئات في داخل «كنزهما»: فهناك فئة الصور وفئة الرسائل وفئة الأوراق العائلية... ولقد حملنا هذا التصنيف على رجوع متواصل الى الوراء، اذ ان سلسلة الصور كانت تجعلنا نجوب قصة حياتهما كلها، تلك القصة التي كنا نعيدها مع الرسائل... ولأن نصف القرن هذا كان معروفاً مني في خطوطه العريضة، لم يتعسَّر عليَّ أن أعود فأحدّد ظروف تلك الذكريات.

يضمّ الكتاب المقدس ذكريات على ألفَي سنة

من **تاريخ لا نعرفه إلّا قليلاً**. فلا بدَّ لنا من رسم خطوطه العريضة. وبإمكاننا أن نستعيده بفضل الوثائق الأثرية وبما ورد عنه في الكتاب المقدس.

لكن الكتاب المقدس، في روايته للأحداث، يطلعنا على المعنى الذي قرأه الشعب الاسرائيلي فيه. سنحاول اذاً أن نستخلص في الوقت نفسه ذلك المستوى من المعنى لاسرائيل، الذي يمكننا أن نسميه «تاريخه المقدس». بإمكاننا أن نقوم بهذا العمل بصفة المؤرّخ، فنكتفي بهذا القول: هذه هي الوقائع والمعنى الذي قرأه الشعب الاسرائيلي. لكني مؤمن أيضاً، أي اني أؤمن بأن ذلك المعنى هو المعنى الذي أحاول أن أعيشه أيضاً. فلا أستطيع أن أطمح الى موضوعية محض (وهل هي ممكنة؟) بعَرْض ذلك التاريخ المقدس: فمن الراجح اني سأُدخل فيه، عن وعي أو لا، ذلك المعنى الذي أقرأه فيه. في هذا دعوة الى أن تقوموا بقراءة له مشابهة أو مختلفة.

سيمكننا عندئذ أن نرسم **التاريخ الأدبي**، أي أن نحدّد، في هذا السير، وضعَ كل من الأسفار كشهود على شعور ذلك الشعب بأنه يعيش تاريخاً مقدَّساً.

لتكوين فكرة أولى عن «مكتبة» الكتاب المقدس

— أسفاره التاريخية: مثلاً:
١ ملوك ٩ / ٢٦ — ١١ / ٤٣
٢ مكابيّون ٨ / ١ — ١٠ / ٨

— رواياته الشعبية: مثلاً:
تكوين ٢٩ — ٣١
قضاة ١٥ / ١ — ١٦ / ٣

— قوانينه الاجمالية: مثلاً:
خروج ٢٠ / ١ — ١٧
أو المفصَّلة: مثلاً:
أخبار ١٤

— أمثاله، «فلسفته» الحياتية: مثلاً:
أمثال ٢٣
جامعة ٣

— قصائده وأناشيده: مثلاً:
قضاة ٥
نشيد الأناشيد ٥
مزمور ٤٥ (٤٤)

— صلاته: مزمور ٤٢ و٤٣

— «نوبات غضبه» ورؤاه النبوية: مثلاً:
عاموس ٣ / ١ — ٤ / ١٢
حزقيال ٣٧

— رسائله: مثلاً:
رسالة القديس بولس الى طيطس

— مقالاته اللاهوتية: مثلاً:
رسالة القديس يوحنا الأولى
الرسالة الى العبرانيين ٣ — ٤

العهد القديم

تاريخ شعب ناداه الله

يعرض لنا العهد القديم تاريخ شعب اسرائيل من ١٨٠٠ قبل المسيح الى عصرنا. نجد فيه تاريخه — وهو تاريخ مبتذل لشعب صغير بين شعوب أخرى — . لكننا نجد فيه أيضاً وخاصةً المعنى الذي قرأه فيه.

تاريخ مبتذل

ذكّرنا علم الاجتماع بأهمية «محيطنا الحياتي»: اننا نفكّر ونعيش ونتصرّف على هذا الوجه أو ذاك، في معظم الأوقات، لأننا مكيَّفون بجغرافيتنا وبالزمن الذي نعيش فيه وبالعقلية والثقافة المحيطتَين بنا. لسنا صخوراً رضراضة سقطت في صحراء، بل نباتات مكيَّفة بالتربة التي تستقي منها الحياة.

سيبدو لنا شعب اسرائيل مكيَّفاً هكذا بمحيطه الحياتي، وهو محيط الشرق الأوسط. يخضع تاريخه لقوانين التاريخ العامة، وكثيراً ما يوافق تطوّره الديني ما نجده في تاريخ الأديان.

ومع ذلك، فإن أمعنّا النظر، لاحظنا أنه يمتاز بتطوّر طريف داخلَ تلك القوانين. وبذلك يطرح على المؤرّخ هذا السؤال: في بعض الحالات المعيَّنة، لماذا لا يتصرَّف هذا الشعب تماماً كما تتصرَّف سائر الشعوب؟ على المؤرّخ، قبل أن يأتي بأي تفسير، أن يطرح هذا السؤال على اسرائيل نفسه: كيف يفسّر ذلك؟ فيجيب اسرائيل: «أنا شعب فريد، لأن الله يكلّمني ويناديني».

تاريخ مقدّس

يدّعي اسرائيل أنه استمدّ وجوده من هذه الكلمة. ان أردنا أن نفهم بأي معنى يُمكن ذلك، كان من المفيد أن نميِّز نوعَين من الكلام:

الكلام الذي يفسِّر، أو لغة العلم، يفسِّر الأشياء ليسيطر عليها. فمنذ أن عرف العلماء، على سبيل المثل، ان الماء مركَّب من الهدروجين والأكسيجين، استطاعوا أن يركِّبوا هذا السائل ويحلِّلوه. و«القوانين» العلمية هي تفسير للعالم يمكِّن الناس من التحكّم به. وهناك قوانين أخرى، كقانون السير، تدوّن، بطريقة اعتباطية أحياناً، ما يمكن عمله أو لا يمكن للعيش في المجتمع.

تُقبل هذه القوانين، فإنها تمكّننا من التأثير في العالم أو من العيش المشترك، لكنّها لا تغيّرنا في العمق.

الكلام الذي يخلق هو كلام العلاقة بين الأشخاص، هو لغة الحب. «يخلق» (بمعنى الكلمة الوجودي) علاقة جديدة بين الكائنات وأحياناً كائناً جديداً. لا معنى لـ«أحبّك» أو «أبغضك» إلّا بين «أنا» و«أنت»، ويُرغم «أنت» على اتّخاذ موقف، على الخروج من النفس لتلبية الآخَر، على الوجود. وستستطيع هذه المناداة وتلبيتها أن «تخلقا» كائنات جديدة، وأن تحوّلا رجلاً الى زوج أو أب. ولا يقوم هذا «الكلام» حتماً على كلمات، فقد يكون حركة أو ابتسامة أو صمتاً أو حدثاً، كلُّ شيء «يتكلّم»، «يعني» شيئاً لمن ينتبه إليه.

وهذا الكلام يغيّرنا باطنيّاً، يولي الحياة معنى جديداً، لكنه لا يغيّرها حتماً في الخارج. فالحب بين كائنَين لا ينتزعهما من محيطهما وعملهما ومن مصاعب الحياة وأفراحها. ومع ذلك، فإنه يغيّرهما، لأن كل شيء يتّخذ، من جرّاء هذا الحب، معنىً جديداً.

والكلام في الكتاب المقدس هو من هذا النوع دائماً. وليست «الشريعة» الالهية، في نظر اسرائيل، قانون سير اعتباطيّاً، بل هي، قبل كل شيء، كلام ينادي، لا بل هي خلاصة تلك المناداة الالهية التي تدعوه الى الوجود. فبتلك المناداة، بذلك الكلام يفسّر اسرائيل مصيره الفريد. لكن هذا لا ينتشله من وضعه كشعب صغير من شعوب الشرق الأوسط. لِنراقبْ بعض هذه التكييفات.

شعب مكيَّف بوضعه الجغرافي

أنظرْ الى خريطة الشرق الأوسط. فالأبحار والبراري والجبال تحمل الانسان على الاستقرار في أراضٍ معيَّنة، وهي السهول والوديان. وهناك ثلاثة أماكن رئيسية كانت تصلح لهذا الاستقرار.

وادي النيل: ابتداءً من ٣٠٠٠ قبل المسيح، كانت **مصر** شعباً كبيراً، يحكمه ملوك هم الفراعنة، ويقيمون تارة في الشمال (ممفيس)، وتارة في الجنوب (طيبة).

أنجاد آسية الصغرى: ازدهر فيها **الحثيون** طوال ١٥٠٠ سنة، فوسّعوا نفوذهم الى بلاد ما بين النهرين: تجاورت فيها شعوب كبرى أو تنازعت

الحكم : سومر وأكّد في الجنوب ، وبابل وأشّور في الشمال.

ماذا يجري حين تتجاور شعوب كبرى؟ تتحارب ! يقول الكتاب المقدس : «عند عودة الربيع ، حين يخرج الملوك الى الحرب...» ، كما نقول اليوم : «عند عودة الخريف ، حين يذهب الناس الى الصيد» ! سيتحارب الحثيون والمصريون ، وسيتحارب المصريون والبابليون أو

مصر

نشأت الحضارة المصرية قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة. وعرفت الامبراطورية القديمة (وعاصمتها ممفيس) ذروتها في حوالى ٢٥٠٠ (الأهرام). وبعد فترة انحطاط ، امتدّت الامبراطورية الانتقالية (وعاصمتها طيبة) الى الخارج ، ومنه فلسطين.

٣٣٠٠	١ _ ٢	العصر التينيّ
٣٢٠٠		٣٣٠٠ _ ٢٨٠٠
٣١٠٠		
٣٠٠٠		
٢٩٠٠	٣ _ ٦	الدولة القديمة
٢٨٠٠		٢٨٠٠ _ ٢٢٠٠
٢٧٠٠		
٢٦٠٠		الأهرام
٢٥٠٠		
٢٤٠٠		
٢٣٠٠		
٢٢٠٠	٧ _ ٩	الحقبة الانتقالية
		٢٢٠٠ _ ٢٠٠٠
٢١٠٠		
٢٠٠٠	١١ _ ١٢	الدولة الوسطى
		٢٠٠٠ _ ١٧٨٥
١٩٠٠		
١٨٠٠		
	١٣ _ ١٧	الحقبة الانتقالية
		١٧٨٥ _ ١٥٨٠

الأشوريون. لا غرابة، مع الأسف، في كل ذلك.

والسيئة الوحيدة أنه لا يتمّ الحرب إلّا بالتلاقي وان اسرائيل يقيم في الممرّ الذي يفصل بين المتحاربين! فإن كنّا نعرف تاريخ تلك الشعوب الكبرى معرفة جيدة، كان يمكننا، قبل بحث، أن نستعيد تاريخ اسرائيل (راجع في الصفحات ١٨ الى ٢١ نظرة خاطفة على تاريخ مصر وبلاد ما بين النهرين).

٣٣٠٠		
٣٢٠٠	السومريون	٣٢٠٠ـ ٢٠٠٠
٣١٠٠		
٣٠٠٠	لاجَش	
٢٩٠٠		
	أور	
٢٨٠٠		
		ماري (أموري)
٢٧٠٠		
٢٦٠٠		
٢٥٠٠		
٢٤٠٠		أكَد ٢٤٠٠ـ ٢٢٠٠
		سرجون الأكّادي
٢٣٠٠		
٢٢٠٠		اجتياح الغوطيين
٢١٠٠		السومريون الجُدَد
		٢٠٥٠ـ ١٩٥٠
٢٠٠٠		غوديا لاجش
		أور ٣
١٩٠٠		
١٨٠٠		بابل
		حمورابي ١٧٢٨ـ ١٦٨٦

بلاد ما بين النهرين

في بلاد ما بين النهرين، ازدهرت بعض المدن، الواحدة بعد الأخرى، فتنازعت السيطرة.

وفي الألف الخامس والرابع، عرف الجنوب بعض الحضارات اللامعة.

كُتب: «بدأ التاريخ في سومر». ففي الألف الثالث، سيطر السومريون. وفي الوقت نفسه، ازدهرت ماري، مملكة أمورية، ازدهاراً واسعاً (سيقوم متحدّرون منها بتأسيس بابل).

وأسّس الأكديون، عن يد سرجون أجاده، امبراطورية امتدّت من سومر الى البحر المتوسط.

وفي حوالى ٢٠٠٠، عاد السومريون الى الوجود، وأعادت السلالة الثالثة في أور بناء الامبراطورية السومرية.

واستولى الأموريون على بابل. ترك لنا الملك حمورابي مدوّنة رائعة.

وفي حوالى ١٧٣٠ ، خرجت شعوب خليطة من	١٧٠٠		الهِكْسوس
آسية ، واستولى الهِكْسوس على الحكم . وطُردوا في			١٧٣٠ – ١٥٨٠
١٥٨٠ .			
	١٦٠٠		
وبنَت الامبراطورية الجديدة . (وعاصمتها طيبة)		١٨ – ١٩	الدولة الجديدة
المعابد الكبرى في الكَرنَك والأقصر ودير البحري .			
وعدل أمينوفيس الرابع عن عبادة آمون وسجد لآتون	١٥٠٠		١٥٨٠ – ١٢٠٠
(الشمس) بعد أن اتَّخذ اسمه : أخنتن . وأنشأ	١٤٠٠		أخنتن ١٣٧٠ – ١٣٥٢
عاصمة جديدة (العمارنة في أيامنا) . وعُرف خليفته			رعمسيس الثاني ١٣٠٠ –
توت عنخ آمون بقبره الرائع .			١٢٣٤
وفي عهد السلالة التاسعة العشرة (في عهد	١٣٠٠		منفتح ١٢٣٤ – ١٢٢٥
رعمسيس الثاني أو منفتح) ، خرج العبرانيون من	١٢٠٠	٢٠ – ٢٥	الانحطاط
مصر ، وهاجمت «شعوب البحر» . وطُرد			
الفلسطينيون على عهد رعمسيس الثالث (في حوالى	١١٠٠		
١٢٠٠) ، فأقاموا على الشاطئ الفلسطيني .	١٠٠٠		شيشانق ٩٢٩ – ٩٢٩
وابتداء من ١٢٠٠ ، دخلت مصر في زمن	٩٠٠		
انحطاط . وقام شيشانق (شيشاق في الكتاب	٨٠٠		
المقدس) بحملة الى فلسطين (على عهد رحبعام	٧٠٠		
الثاني) .			حقبة سايس
وفي زمن سايس ، قتل نكو الملك اليهودي يوشيا		٢٦	٦٦٣ – ٥٢٥
في مجدّو . وقضى الملك الفارسي قمبيز على استقلال	٦٠٠		تكو ٦٠٩ – ٥٩٤
مصر في ٥٢٥ .			السيطرة الفارسية الأولى
وبعد فترة استقلال قصيرة ، عادت مصر			٥٢٥ – ٤٠٤
فسقطت تحت السيطرة الفارسية . وفي ٣٣٣ ، استولى	٥٠٠		
عليها الاسكندر . فأنشأ أحد قوّاده ، بطليمس ، ابن			
لاجوس ، سلالة اللاجيّين .	٤٠٠	٢٨ – ٣٠	الاستقلال ٤٠٤ – ٣٤١
وفي ٣٠ ق.م. ، ضمّ اكتافيوس مصر الى	٣٠٠		السيطرة الفارسية الثانية
الامبراطورية الرومانية .			٣٤١ – ٣٣٣
			اليونانيون (الاسكندر)
			٣٣٣
	٢٠٠		اللاجيون
	١٠٠		

١٧٠٠		
١٦٠٠		
١٥٠٠	القاسيّون ١٥٠٠ _ ١١٥٠	الحوريون ١٥٠٠ _ ١٣٧٠ الحثّيون ١٣٧٠ _ ١٢٥٠
١٣٠٠		
١٢٠٠		
	أشّور	١٢٥٠ _ ٦١٢
١١٠٠		
١٠٠٠		
٩٠٠		
٨٠٠		
٧٠٠		
		البابليون الجُدُد ٦٢٦ _ ٥٣٩
٦٠٠		نبوكدنصّر
٥٠٠		الفُرس ٥٣٩ _ ٣٣١ قورش
٤٠٠		
٣٠٠		اليونانيون (السلوقيون) ٣٠٥ _ ٦٣
٢٠٠		
١٠٠		
		رومة ٦٣

وتبعت فترة مضطربة. فأقام القاسيّون في جنوب بابل والحوريّون في الشمال (مملكة الميتنّي). ووسّع الحثّيون في آسية الصغرى نفوذهم الى أشّور.

وفي حوالى ١٢٥٠، نشاهد نهضة أشور التي كانت قد أحرزت بعض النجاح قبل ذلك ببعض القرون. قويت امبراطوريتها بين ١٠٠٠ و ٦١٢ وزحفت جيوشها عدة مرات الى فلسطين (جلاء السامريين في ٧٢١).

وفي ٦١٢، سقطت نينوى، وقُسمت الامبراطورية الأشورية بين الميديين وبابل حيث قامت سلالة أمورية. واستولى نبوكدنصّر على أورشليم في ٥٨٧ وجلا سكّانها.

الامبراطورية الفارسية: انتصر قورش على الميديين واستولى على بابل (٥٣٩) وحرّر اليهود المجلّوين. وامتدّت هذه الامبراطورية الى مصر والى حدود الهند. وذهب ملوكها وحاربوا في اليونان (الحروب الميدية).

وأقام الاسكندر (٣٥٧ — ٣٢٣) سيطرة أثينة اليونانية في مصر وحتى في الهند، ونشر في كل مكان الثقافة اليونانية واللغة «الشائعة». ولمّا توفّي، قُسمت امبراطوريته بين قوّاده، وحكم السلوقيون في بلاد ما بين النهرين.

وفي ٦٣ أخيراً، أقام القائد بومبيوس سلطة رومة في الشرق الأوسط، في سورية.

شعب متأثّر بعقلية الشرق الأوسط

خرج ابراهيم، أبو الشعب، من بلاد ما بين النهرين. وأقام في كنعان، يوم كانت الحضارة الأوغاريتية مزدهرة. سيقيم خلف ابراهيم بعض الوقت في مصر، وستستمرّ الصلة بهذا البلد طوال تاريخه. وسيكون اسرائيل غالباً تحت سلطة الأشوريين أو البابليين. وفي النهاية، سيخضع لنفوذ الفُرس، ثم اليونانيين. إليك بعض الملامح التي تتّسم بها بعض هذه العقليات.

الفكر المصري شديد التأثّر بجغرافيته. يعيش المصري في أرض نيّرة، تطلع فيها الشمس كل صباح الى الشرق، مُشعَّةً الحياة وطاردةً القلق الليلي الذي يولّده غيابها. وحين يجفّ كل شيء، يفيض النيل، ولكن في أزمنة محدَّدة، آتياً بالماء والطمي المخصب والحياة.

ولذلك فالمصري متفائل المزاج طبعاً، والآلهة التي يتصوّرها كلّها حنان ورأفة. وهو يعلم أنها تسهر عليه، ويؤمن بأن حياة جديدة وساطعة تنتظره بعد الموت، وان كانت غير شخصية.

هناك صلاة يرجِّح أن الفرعون أخنتن هو

نشيد مصري للإله الشمس

تظهر كاملاً في أُفق السماء
أيها القرص الذي صدرت منه الحياة.
حين تطلع في الأفق الشرقي
تملأ أرضنا كلها بكمالاتك.
وحين تغيب في الأفق الغربي
تُظلم الأرض كالموت.
ترقد الأرض في السكوت
لأن خالقها يستريح في أفقها،
ثم تشرق الأرض عند طلوعك
وعند سطوعك، أيها القرص الشمسي، أثناء النهار.
يستيقظ الناس ويقومون على أرجلهم.
أذرعهم تسجد لظهورك
ثم تنصرف الأرض كلّها الى أعمالها.
جميع البهائم مسرورة في مراعيها.
الأشجار والأعشاب تخضوضب
والطيور تطير خارج أعشاشها
وأجنحتها ساجدة لك.
المراكب تنزل أو تصعد مجرى النهر
والأسماك تقفز أمام وجهك.
تُنمي البذر في النساء
وتخلق الزرع عند الرجال.
ما أكثر إبداعاتك!
انها محجوبة عن وجه الناس
أيها الاله الأوحد الذي لا نظير له.
خَلَقتَ البشر لأجلك
أنت ربّهم جميعاً، مهما بلغ عددهم
الذي يتعب من أجلهم
ربّ الأرض الذي يسطع من أجلهم.
أنت في قلبي...

الذي نظمها (في حوالى ١٣٥٠)، إكراماً للإله الشمس آتون، تضعنا في أجواء تلك العقلية.

أمَّا **عقلية بلاد ما بين النهرين** فتبدو متشائمة في أساسها. يعيش ساكن هذه البلاد في وادٍ لا يمكن فيه توقّع الفيضانات، فتسبّب «طوفانات» بكل معنى الكلمة، عُثر على آثارها في الحفريات. من أنجاد ايران الحالية تتدفّق أحياناً قبائل جائعة، في حين ان عصابات من البدو الشَّرهين تخرج من الصحراء العربية في كل حين. لذلك نرى أن آلهة بلاد ما بين النهرين متقلّبون، على تصارع دائم، وأن الانسان يبدو ذلك المخلوق الخائف الذي يسعى الى الاحتراس من ردود فعل سورات غضبهم. وما أحزن المملكة التي بعد الموت! فإن ظلال الأموات مجتمعة فيها لمصير لا يعرف الفرح.

هناك نصوص كثيرة تتناول خرافات أو أساطير استوحى منها الكتاب المقدس أيضاً. تجدها في أحد كتب هذه السلسلة، بعنوان: «مَن أنت أيها الانسان؟». يحسن بك أن ترجع إليها. إليك ملخَّصاً عن بعضها:

• نعرف ملحمة أطراحسيس (الذكي جداً) من نسخة عُثر عليها في بابل ويرقى عهدها الى السنة ١٦٠٠ ق. م. في هذه القصيدة المؤلفة من ١٦٤٥ سطراً، يظهر لنا الآلهة متعبين من كثرة السخرات التي يقومون بها. فيقرّرون أن يخلقوا الانسان ليقوم بهذا العمل. فيصنعونه من الطين الممزوج بدم إله مذبوح. لكن البشريّة تتكاثر وتُحدث ضجيجاً وتُتعب الآلهة. فيرسلون إليها بلايا مختلفة، وفي آخر الأمر الطوفان. لكنَّ الإله آيا أعلم رجلاً بالأمر، فبنى هذا الرجل سفينة وأركب فيها عائلته وزوجَين من جميع الحيوانات.

• والقصيدة أنوماليش (عندما في العلى...) هي أيضاً قديمة جداً. لا شك انها وُضعت في شكلها الحالي في حوالى السنة ١١٠٠ ق. م. في أصل كل شيء مصدران ذوان جنس: عبسو (المياه الحلوة) وتيامات (مياه البحر المالحة). منها خرج جميع الآلهة. أرادت تيامات أن تقتلهم لأنهم يزعجونها، لكن مردوك انتصر عليها وشطرها كالمحارة وجعل منها قبّة السماء. ثم خلق الانسان مع دم إله متمرّد..

• لا شك ان ملحمة جلجامش أشهر تحف بلاد ما بين النهرين القديمة. نشأت في سومر وتطورت، مدة أكثر من ألف سنة، في بلاد أشور وبابل. عُرفت ونُسخت في فلسطين عند الحثّيين. وهي مؤلَّفة، في شكلها الحالي، من اثني عشر نشيداً.

ورد فيها ان جلجامش، وهو من أبطال سومر، أزعج الآلهة بسبب كبريائه. فأقاموا له منافساً يسمّى انكيدو وهو وحش يعيش مع البهائم. وقامت امرأة وجعلت منه انساناً، فأصبح صديقاً لجلجامش، وأخذ الاثنان يقومان بالمآثر. واتفق ذات يوم ان انكيدو مات. فاكتشف جلجامش فظاعة الموت وشرع يبحث عن الخلود. فأطلعه بطل الطوفان على سرّ شجرة الحياة. ووُفّق جلجامش في الاستيلاء عليها، ولكن حية خطفتها منه، فلم يبقَ له إلّا أن يموت.

ازدادت معرفة **العقلية الكنعانية**، منذ أن عُثر،

ابتداء من السنة ١٩٢٩، على مكتبة مدينة أوغاريت، رأس شمرا الحالية والواقعة في سورية. توافق ذروة هذه الحضارة السنة ١٥٠٠ ق.م. تقريباً، وهو عصر الآباء.

أكبر الآلهة يسمّى ايل، وكثيراً ما يظهرونه بشكل ثور (أحد أسماء الله في الكتاب المقدس هو ايلوهيم، جمع ايل). وهذه الديانة تعبد قوات الطبيعة المؤلّهة: البعل، إله العاصفة والمطر، ويسمّى أحياناً «راكب الغمام» (كالله في المزمور ٥) وعَنَت شقيقته، وقد سُمّيت فيما بعد عشتر، وهي إلاهة الحرب والحب والخِصب.

سيميل اسرائيل، ولاسيّما مملكة السامرة، الى هذه الديانة الكنعانية والى عباداتها الجنسية المؤدّاة للإلاهة العارية، على المشارف، والى شعائرها المقصود منها خصب الأرض والمواشي.

لقد ألقينا نظرة خاطفة على الاطار التاريخي والثقافي الذي جرى فيه تاريخ اسرائيل فيمكننا الآن أن ندخل فيه.

الأسطورة

ما هو المقصود بالأسطورة؟

تظهر لنا الأساطير القديمة بمظهر قصص تعرض أمامنا آلهة أو إلاهات أو أبطالاً قدماء. قد نرتبك عند القراءة الأولى، ولكننا لا نلبث أن نستسلم للقراءة، لشعورنا بأن المواضيع التي تتناولها هي المسائل الكبرى التي نحملها في أنفسنا: من أين أتى العالم؟ لماذا يوجَد الانسان؟ لماذا الألم والموت؟ لماذا يتجاذب الجنسان؟ ما هي صلة الانسان بالاله؟

ولكن، بدلَ أن تُعالج هذه المسائل في كتب علمية عويصة، كما نفعله في أيامنا، كانت الأساطير تؤدّي هذه الخدمة «بأشرطة مرسومة».

إليك مثلاً عصريّاً، هو انتخاب ملكة جمال العالم. في عصر لم يعد للملكية وجود تقريباً، ننتخب ملكة نحيط بها وصيفاتها. نقضي حياتنا في أكثر الأحيان في التفاهة والمتاعب اليومية: وهذه الملكة تُتوَّج وتنال هدايا رائعة... كل ذلك يسهم في وضع هذا الانتخاب في عالم آخر، عالم الأحلام، عالم غير حقيقي. لكن ذلك يعبّر عن رغبة كل امرأة في أن تكون جميلة وغنية وفي أن توفَّق، وعن رغبة كل رجل في أن ينظر بإعجاب الى جمال المرأة. ولكنَّ هنا خطراً: فقد يفقد الانسان حريّته أمام هذه الأسطورة ولا يعود هو هو. نرى، على سبيل المثل، فتيات يقلّدن تسريحة ملكة جمال العالم أو يحاولن أن يكون لهنّ ما للملكة جمال العالم من قياسات، مع ان ذلك لا يناسب نوع جمالهنّ. والروايات المصوّرة لبعض المجلّات، حيث الضاربة على الآلة الكاتبة تتزوّج من ابن رئيس ومدير مجلس الادارة، تلعب الدور نفسه، فإنها تحمل الضاربة على الآلة الكاتبة على الأحلام ولربما تمكّنها أن تعيش، ولكن في الأحلام، وقد يبلغ بها ذلك الى اهمال عملها والى صرف وقتها في استمالة ابن رب العمل.

وان أردنا أن نبسّط الأمور الى أبعد حد، نستطيع أن نقول: الغاية من الأسطورة أن نتناول مسألة كبرى من التي نحملها في أنفسنا وأن نرسل

صورتها، في شكل قصة، الى عالم غير حقيقي، في زمن يسبق الزمن، زمن الآلهة، حيث لم يكن للانسان من وجود. هذه القصة عن الآلهة هي قصتنا، ولكن بعد نقلها من وضع الى وضع جديد، فتصبح نموذجاً يجب على الانسان أن يقلّده.

يتساءل الانسان، على سبيل المثل، ما يعني التجاذب بين الجنسَين؟ أو كيف يحصل على الخِصب. فيتصوّر عالماً، خارجاً عن الزمن، كان الآلهة والإلاهات يحبّون فيه بعضهم بعضاً ويتزاوجون ويلدون. وان كانوا خَصِبين، تكون أرضنا ومواشينا خصبة أيضاً، بما ان هؤلاء الآلهة ليسوا سوى نقل خيالي لوجودنا. فلا بدّ من إكراههم على الإخصاب. فالرتب تهدف الى إكراههم على التزاوج. والاقتران بالبغايا المقدسة في بابل أو في المشارف الكنعانية لم تكن نوعاً من القصوف، بل كان رتبة دينية تبعث على خصب الأرض.

فكل هذه القصص الأسطورية هي في غاية الجدّيّة، انها تفكير البشرية الأولى. فلا عجب أن يكون الكتاب المقدس قد تبنّى هذا المنهج للتعبير عن تفكيره الخاص، ولكنه قد حوّله تحويلاً عميقاً. يمكننا أن نقول بسرعة إنه اتّخذ رواية مصوَّرة وجعل منها رواية نفسانية.

لنأخذ رواية نفسانية تعرض لنا حياة زوجَين مع أفراحها ومتاعبها... يبدو لأول وهلة أنها تشبه الرواية المصوَّرة الى حدّ ما، ولكنها نقيضها في الواقع. فهي لا تحملنا على الهرب الى عالم الأحلام، بل تعيدنا بالعكس الى حياتنا اليومية، لأنها مؤلفة من ألف ملاحظة استقاها الكاتب من أزواج مختلفين. وهي تحملنا على التفكير في حياتنا وعلى تسلّم زمامها.

فالكتاب المقدس، باستلهامه من هذه الأساطير الكبرى، ولاسيّما في روايات خلق العالم، يعيد التفكير فيها وفقاً لايمانه بإله واحد يتدخل في تاريخنا ويريد أن يكون الانسان حرّاً.

زمن الموعِد: ابراهيم

إليك نظرة خاطفة على سيرة الآباء وموسى. كيف نعرفها؟ من الأسفار الخمسة التي تؤلف التوراة. لكنّ بنية هذه الوحدة معقّدة جداً، ولم تدوَّن روايات الكتاب المقدس إلَّا بعد الأحداث بزمن طويل، انطلاقاً من تقاليد تمَّ تناقلها شفوياً. وفي هذه الأثناء، فهم الشعب ما في هذه السيرة من فائدة لحياته، فأضاف إليها طبعاً ما لم يفهمه إلَّا في وقت لاحق. وهل في ذلك خيانة؟ قد يقول لنا أحد كلاماً لا نوليه في الساعة أيّ اهتمام، ثم يمضي بعض الوقت، فنهتف، على أثر بعض الأحداث: «هذا ما قصده في قوله!». فإذا روينا كلامه الأول، فلا شك أننا نضيف إليه المعنى الذي اكتشفناه فيما بعد. ونحن لا نخون ذلك الكلام، بل نفسّره، وان نسبنا إليه أكثر ممَّا عبَّر عنه في ذلك اليوم. وهذا ما جرى لإسرائيل الى حدّ ما. لكنه لا يسهّل عمل المؤرّخ، فهو يجب أن «يجد» ما جرى في ذلك اليوم.

إليك اذاً الخطوط العريضة لسيرة الآباء، انطلاقاً من عنصرَين. أولاً، التاريخ العالمي كما نعرفه من مصادر أخرى. ثم نحاول، في هذا الاطار، أن نحدّد وضع الآباء وموسى، من غير أن نسعى لتوضيح ما يبقى غير واضح: ولكنه من المفيد، قبل ذلك، أن نكوّن فكرة عن بنية التوراة.

الاطار العام لسيرة ابراهيم

في مطلع القرن الثاني، يُخيَّل إلينا ان الشرق الأوسط بأسره يتحرّك كسيل حُمَمي واسع في حالة الانصهار. قبائل ساميّة صعدت من الصحراء العربية أو نزلت من أنجاد ايران الحالية، وكما ترفع الموجات الواحدة الأخرى، دفعت القبائل أمامها قبائل أخرى. فسقطت مدينة أور، وتمركزت في بابل سلالة جديدة. وأقام الحثيّون في آسية الصغرى والحوريّون في بلاد ما بين النهرين. وزحف هذا المَدّ بموجات متعاوضة ترسب هنا وتُدفع هناك.

واذا وصل الى احدى العشائر ، قامت غير مسرعة وطوت خِيَمها وجمعت قطيعها وذهبت ترحّل عشيرة أخرى . وفي حوالى ١٧٣٠ ، وصل المدّ الى مصر ، فتمركز الهِكْسوس في الدلتا .

كما ان شعاع المنوار يعزل ، على مسرح آهِل بالأشباح ، منطقة هامة ، كذلك ، على ذلك السيل الحُـمَمي الواسع المجهول الهوية ، في حوالى ١٨٥٠ (أو ربّما في وقت لاحق) ، يُلقي شعاع الكتاب المقدس ضوءاً على عشيرة من العشائر : العشيرة التي سيخرج منها أبرام (أو إبراهيم) .

ابراهيم (تك ١٢)

ان الرواية الكتابية غنية باختبار العهد الذي قُطع في سيناء في وقت لاحق و بالوحي الالهي الذي نزل على موسى . ومع ذلك ، فإنها تمكّننا من تحديد وضع أبرام بين مختلف الشعوب ومن الاهتداء الى بعض عادات ذلك الزمن .

خرجت عشيرة ابرام من أور في بلاد ما بين النهرين . وانطلقت كسائر العشائر ، لأنه وجب عليها أن تنطلق . ولعلَّ هناك سبباً اضافياً دفع أبرام ، وهو عُقر امرأته . من الراجح أنه قرأ في الفأل ، كما

التوراة

التوراة كلمة عبرية تعني الشريعة ، وهي تضم الأسفار الخمسة التالية : التكوين ، الخروج ، الأحبار ، العدد ، تثنية الاشتراع . لهذه الأسفار قصة معقّدة الى حدّ ما . أُنجزت بشكل أسفار في وقت لاحق (في حوالى ٤٠٠ على ما يبدو) ، ولكن انطلاقاً من تقاليد أعرق في القدم بكثير . إليك مثلاً :

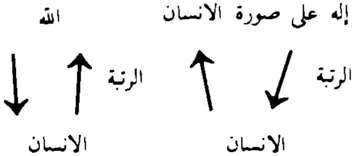
عن حياة المسيح ، لدينا أربع روايات هي الأناجيل ، تعرض لنا السيرة نفسها ، ولكن من وجهات نظر مختلفة . لقد حاول بعض المسيحيين ، منذ القدم ، أن يوفّقوا بينها ويخرجوا برواية واحدة : «الأناجيل الأربعة في واحد» . ان قدّمنا هذا الكتاب لأحد من أهل الاختصاص لا يعرف شيئاً عن المسيحية ، أمكنه أن يتوصّل ، بمجرّد البحث والانتباه الى الفوارق في الانشاء والمفردات ، الى اعادة وضع الأناجيل الأربعة . لكن مثل هذا العمل لا يتمّ من دون افساح المجال للافتراضات والثُغَر .

فالتوراة هي ، في الواقع ، «أربعة تقاليد في كتاب واحد (مقسَّم الى خمسة أسفار)» . لكننا لا نملك تلك التقاليد الأربعة كل واحد بمفرده ، ونرى أنفسنا كذلك الاختصاصي أمام «الأناجيل الأربعة في واحد» . فعلينا ، بمجرد البحث في الأسفار الخمسة ، أن نهتدي الى التقاليد . لقد توصَّل الاختصاصيون في أيامنا الى شيء من الاجماع . يمتدّ تأليف تلك التقاليد على عشرة قرون ، ويمتدّ تدوينهم على خمسة قرون أو ستة . أُطلقت عليها الأسماء ويُدلّ عليها بالأحرف : التقليد «اليهوي» (ي) على عهد سليمان في حوالى ٩٥٠ ، والتقليد «الايلوهي» (آ) في حوالى ٧٥٠ ، وتقليد «تثنية الاشتراع» (ت) بعد ذلك بقليل ، وأخيراً التقليد «الكهنوتي» (ك) بعد ٥٣٨ (نهاية الجلاء الى بابل) . سيكون لنا عودة الى كل من هذه التقاليد في زمن نشأته .

نحو الايمان الصحيح

ان التمييز بين «الدين» و«الايمان» تمييز عملي يمكّننا من الاهتداء الى الموقف الأساسي الذي يريد الكتاب المقدس أن يمليه علينا.

ان بسّطنا الأمور، أمكننا أن نصوّر حركة «الدين» بسهم من تحت الى فوق. لمّا كان الانسان غير قادر أن يعيش من دون أجوبة عن الأسئلة العميقة التي يطرحها على نفسه، فإنه، ما دام يجهلها، يميل الى ابتداع أجوبة على شكل آلهة يرسمها فوقه، في الدائرة الرمزية، دائرة السماء أو المقدّسات.



وعندئذ يمكن أن يرتدّ السهم على نفسه: فبالرُتَب يظن الانسان انه يستطيع أن يضع في خدمته تلك الآلهة التي ابتدعها على صورته. إليك بعض الأمثال، لا يعرف الانسان البدائي كيف يتوقّى الطبيعة المعادية (تقلّبات الطقس والعاصفة والكوارث والأمراض). فيبتدع آلهة العاصفة والمطر، وآلهة متطبّبة. وهو يقرّب لها الذبائح، ظنّاً منه انه سيحصل بالمقابل على الاحسانات التي من حقّه بواسطتهم. واذا أراد تفسيراً لتجاذب الجنسَين الغامض، تصوَّر قصص حب بين الآلهة والإلاهات. وهو يقلّد على الأرض اقترانهم (في ممارسات جنسية تمتّ الى السحر)، ظنّاً منه انه يحصل على خصب الطبيعة أو البشر. واذا أراد تفسير ما في العالم من ضمير أو نظام، ابتدع إلهاً «شرطياً» أو «ساعاتياً».

هكذا تنشأ الأساطير وهي تجعل الانسان غريباً عن نفسه، فلا يعود حرّاً، بل يخضع لتلك القوى التي تتحكّم بوجوده. وتُفسد علاقته بمثل أولئك «الآلهة»، فلا يصلّي إليها إلّا للحصول تلقائياً على الاحسانات المرتقبة، لا لإقامة صلة حب بهم.

أمّا «الايمان» فالأفضل أن يُرمز إليه بسهم ينطلق من الله الى الانسان. انه اعتراف بأن أحداً ينادينا. هناك أحد، الاله الحيّ يدعونا الى الوجود، في صلة حب. وعندئذ، لا نعود غرباء عن أنفسنا، فعلينا أن نعيش حياتنا، عالمين بأنه علينا نحن أن نصنعها، علينا أن نجد الجواب عن أسئلتنا. ولكنه يمكننا، في الوقت نفسه، أن نعيش في عرفان الجميل، كما تشاهد الأم، في ذراعيها المندهشتَين، الطفل المولود من جسدها، بل الناتج فيها عن حبّ مشترك.

وهنا أيضاً يرتدّ السهم. فلأننا بشر وجسديّون، لا بدّ من التعبير عن موقف عرفان الجميل، وهذا هو الدور الذي تقوم به الرتب. ولكن، لم يعد الكلام، ان صحّ هذا التشبيه، على باقة الزهور التي يقدّمها الولد لأمه للحصول على إذن (كما الأمر هو في رسم «الدين»)، بل على باقة الزهور نفسها التي يقدّمها الولد لأمه في يوم عيدها، لمجرّد التعبير عن عرفان جميله لكونه محبوباً.

ان حركة عرفان الجميل هذه أمر أساسي. سيمضي زمن طويل قبل أن يشعر بها المؤمنون في اسرائيل شعوراً واضحاً.

كانوا يفعلون في ذلك الزمن (غيماً من التراب متّجهاً نحو الغرب أو سماءً مرصّعة بالنجوم)، اشارة من آلهته القمرية الى الانطلاق. وتوقّفت العشيرة في حرّان (مستعمرة أور)، حيث كانوا يكرّمون الآلهة أنفسهم.

ووصل أبرام الى كنعان حيث كانوا يسجدون للإله إيل، فتمركز هناك ووضع نفسه في خدمة هذا الاله المحلّي. وبما ان هذا الاله وهب له أرضاً، ظنّ أبرام انه قادر على حل مشكلته العائلية. فقرّب له ذبيحة خِصب للحصول على أولاد من امرأته العاقر.

الى هنا تصرَّف أبرام كما يتصرَّف أي انسان في زمنه، مُستبدلاً الاله باستبداله الأرض. لكن شيئاً ما حدث هنا، يبدو فريداً في تاريخ الأديان: فإن ذلك الاله الذي توجَّه إليه حوَّل ذبيحة الخِصب الى ذبيحة معاهدة. وهكذا بلغ أبرام الى الايمان الصحيح، وهو تلبية كلمة الله.

«إله ابراهيم» (تك ١٥)

ان الفصل ١٥ من سفر التكوين فصل معقَّد. يجمع بين روايتين لقَطْعِ العهد. ويُنظر إليه من زاويتَين مختلفتَين. من الزاوية الأولى، أعدَّ أبرام، وفقاً لصيغة الرتبة المفروضة في هذه الحالة في بلاد ما بين النهرين، ذبيحة خِصب للإله ايل، للحصول منه على ولد. لكن هذا الاله رفض أن يتصرّف هذا التصرّف فيهب احساناً مقابل ذبيحة. وفي نوم أبرام الجَذْبي، حوَّل ذبيحة الخِصب الى رتبة معاهدة، معاهدة يلتزم فيها الله وحده. وهذا يعني ان الانسان لا سلطة له عليها، اذ انه مجرّد شاهد ومنتفع. ووهب الله له الخصب زيادةً على ذلك، كعطية ناتجة عن موعده.

هذه هي نقطة انطلاق الايمان لـ«بني ابراهيم»، من يهود ومسيحيين ومسلمين. لأن أبرام أخذ يستشعر سرّ ذلك الاله الذي يناديه. في أور، ظنَّ أنه تلك الآلهة القمرية، وفي كنعان ظنّ أنه الاله ايل. أمَّا الآن، فان ايل (اسم جنس يعني «اله») يبدو له مختلفاً كل الاختلاف عن سائر الآلهة كلهم: اله غامض لا سلطة للانسان عليه، وله يخضع، بالعكس، في المحبة.

وفي ما لم يكن ربَّما، في البدء، سوى محاولة لتفسير اسمَي أبرام وابراهيم، رأى الكتاب المقدس اشارة الى صلة جديدة بينه وبين الله. وذلك يعني في الوقت نفسه رسالة (كما «يسمَّى» أحد للقيام بمسؤولية): سيكون أباً لشعب.

ان الله يسمّي ابراهيم، لكن ابراهيم لا يعرف اسم إلهه، لأنه لا يُسيطَر عليه بتسميته، بل يبقى غامضاً. وسيحمل بعد اليوم اسم الذين يعبدونه: «إله ابراهيم... إله يسوع المسيح». وذلك يعني أنه اله لا يُعرف إلَّا باللقاء، ويُشعَر به في التحويل الذي يُجريه في الذين يحبونه.

تك ٢٢

بعد ابراهيم ومواليده الأوَّلين، تبدأ حقبة زمنية غامضة.

ميلاد شعب
الخروج من مصر وقَطْع العهد

في حوالى ١٢٥٠ ، أضاءت حُزمة الكتاب المقدس الضوئية مرة أخرى فأنارت اقليماً صغيراً في شمال مصر ، الى شرق دلتا النيل : هناك خليط من العبيد منهمك ، تحت هراوة الخفراء الأفظاظ ، في صنع اللَّبِن المُعَدّ لأبنية الفرعون. فماذا حدث؟

هنا أيضاً يتردّد المؤرّخ ، فلقد وفّق الكتاب المقدس بين تقاليد مختلفة وغامضة. سنحاول أن نرى أياً كان الوضع في مصر.

كان الهكسوس ، أولئك «الملوك الحاكمون في البلدان الغريبة» ، سادة مصر الشمالية منذ ١٧٣٠ ، فطُردوا في ١٥٨٠. فجعل فراعنة السلالة الثامنة عشرة من بلدهم بلداً قويّاً جداً. ووقف أمينوفيس الرابع نفسه لعبادة الاله آتون وحمل اسمه (أخنتن) وأنشأ عاصمة جديدة (العمارنة في أيامنا). وعاد خليفته توت عنخ آمون (اشتهر بقبره الرائع الذي وُجد في حال شبه سالم) الى عبادة آمون التقليدية. لكن الهموم الدينية تقدّمت على الوجوه السياسية ، فسارت الامبراطورية الى الانهيار. وأعاد القائد حورم حب الى الدولة عافيتها ، فعادت السلالة التاسعة عشرة وعرفت الأمجاد على عهد سيتي الأول ورعمسيس الثاني. واضطُرَّ مَنَفتح الى مواجهة هجوم من قبل «شعوب البحر» ، وهي قبائل خرجت من وسط أوروبا ، والى مواجهة اجتياح ليبي. وفي السنة الخامسة من عهده (في حوالى ١٢٣٠) ، ذكرت إحدى المِسلّات اسم اسرائيل للمرة الأولى: «اجتيح اسرائيل ، وزال نسله من الوجود». وأخيراً ردَّ رعمسيس الثالث شعوب البحر.

في هذا الاطار العام جداً ، عاش موسى وجرى الخروج من مصر. ذلك بأن بعض المتحدّرين من

ابراهيم كانوا قد واصلوا نزوحهم وأقاموا في شرق الدلتا، ربّما بحماية الهِكسوس. ومن الراجح ان الخروج جرى على عهد رعمسيس الثاني (في حوالى ١٢٥٠؟).

كيف تمَّ هذا الخروج من مصر؟ في الفصلين ١٤ و ١٥ من سفر الخروج، رواية ملحمية لما جرى، غنيّة بالايحاء الديني أكثر منها بالتفاصيل التاريخية. أيّاً كانت حقيقة الأحداث، هناك شيء ثابت وهو ان اسرائيل اكتشف فيها، بعد انقضاء الأمر، تدخل إلهه وميلادَه كشعب.

العهد

لا شك ان العهد هو الفكرة التي أسَّست اسرائيل. فقد ورد في الكتاب المقدس ان الله قطع عهداً لابراهيم. والأفضل أن يقال إنه قطع وعداً، لأن المقصود هو عهد من جانب واحد وان الملتزم هو الله وحده. وكان هذا الأمر على جانب كبير من الأهمية، لأن الله ألقى في كفة ميزان التاريخ ثقل أمانته، فالتزم، أيّاً كانت أخطاء الشعب المولود، بأن يُدخله الى السعادة (المرموز إليها في الوقت الحاضر بالأرض).

أمّا في سيناء، فإن الله قطع عهداً ثنائياً: «ألتَزِمُ بإيصالكم الى السعادة، ان حفظتم وصاياي». فدخل الشعب في هذا العهد دخوله في بُعد رابع: فلم يعد قادراً على العيش كشعب، ان خرج من العهد، كما لو أراد الانسان أن يعيش خارجاً عن أبعاد الفضاء الثلاثة.

ولمّا أمعن القديس بولس في هذا الأمر، في وقت لاحق، سكب في صيغة علمية فكرة اسرائيل العميقة ورأى فيها جَدَلاً بين هذَين العهدَين. لم يُبرم الله اتّفاقاً ثنائياً مع ابراهيم، لأنه لم يشكّ في حبّه. فليس من المعقول أن يُلزِمَ الأب ابنه بحبّه عن طريق الاتّفاق! ولكن، ان رفض الابن، فقد يُضطرّ الأب الى اخضاعه لشريعته وقتاً من الزمن وفي سبيل خيره.

وهكذا بَدَت الاقامة المشؤومة في مصر رمزاً لِرَفْضِ خَلَف ابراهيم أن يلبُّوا رغبة الله. وهذا ما حمل الله، في سيناء، على قطع عهد ثنائي معهم، والتزم بقدر تلبية الشعب لمحبته.

فوقع الله في تناقض قد يكون أغرب التناقضات — وأخصبها —! التزم وحده نحو ابراهيم، فأوجب على نفسه (ان كان «عادلاً») أن يوفّر السعادة للشعب، أيّاً كان سلوكه. ثم التزم في سيناء على وجه ثنائي، فكان عليه، ان كان «عادلاً»، أن يرفض تلك السعادة، ان لم يَفِ الشعب بعهده... لكن الشعب (شأننا اليوم) كان يخطأ... كان القديس بولس يعرف ان الله وحده يستطيع أن يجد الحل: سيموت الشعب المجمَّع في يسوع المسيح، لكن هذا الموت سيؤدي الى الحياة، الى السعادة!

جدير بالذكر ان الشريعة ظهرت بعد الخطيئة، مع اننا نظنّ عفوياً ان الخطيئة مخالفة للشريعة. فالخطيئة، في الكتاب المقدس، هي تقصير في المحبة. والخاطئون يعطيهم الله شريعة على سبيل الحاجز، لتثبيتهم «على كرهٍ منهم». وسيصرّح القديس بولس بأنه، في المسيح يسوع، لم يعد مكان للشريعة، إلّا تلك «الشريعة» الباطنية، وهي الروح القدس.

هناك عنصران جوهريان بقيا عالِقَين في شعور اسرائيل الديني : هو الزمن الذي أوحى فيه الله باسمه الى موسى والذي قطع فيه عهداً مع الشعب.

وهذا الاله الغامض، «إله ابراهيم»، سيحمل بعد اليوم اسماً : «يَهْوَه». إنه أكثر من تعريف — لا نعرف بالضبط ما يعنيه —، فهو يدل على حضور. كلمة «يَهْوَه» مشتقة من أصل عبري يعني «كان»، والعبارة التي يعرِّف فيها الله نفسه تقبل أكثر من ترجمة، والأرجح هي : «أنا هو مَن هو».

وهذا الاله قطع عهداً مع شعبه. ولقد ظهر عبور البحر الأحمر (لا نعرف ما كان الحدث التاريخي)، بعد انقضاء الأمر، عملاً أتى به الله ليخلِّص شعبه. وسيبقى الخروج من مصر (الفِصح) في شعور اسرائيل (وشعورنا) الزمن الأول الذي ظهر فيه الله مخلِّصاً، ناقلاً من الموت الى الحياة. لكن الحدث يبقى ملتبساً، فلا بدّ أن تكشف الكلمة الملفوظة معناه. وهذا هو دَور سيناء حيث قطع الله عهداً مع شعبه وأعطاه شريعته.

وبفضل تلك الكلمة الالهية التي بلَّغها موسى الى العبرانيين والتي «دعتهم الى الاجتماع»، شعروا بأنهم شعب خاصّ، بأنهم «كنيسة»، فالتزموا التزاماً جَماعيّاً بذلك العهد.

وبعد مرور شاق بالبرية (يصعب علينا تحديد مدّته، ورأى فيه الشعب، في وقت لاحق، مسيرة روحية)، دخل الى أرض كنعان. وهذا الفَتْح رواه سفر يشوع في ملحمة انتصارية. لكن الحقيقة (التي يُشعرنا بها) كانت أقل تواضعاً بكثير : قبائل من البدو تسلَّلت الى الوديان وتمركزت عند سُفوح الروابي حيث كان سكان البلاد يدافعون عن أنفسهم. فهنا يقوم القتال، وهناك تتمّ التسوية بما فيها من مخاطر الاندماج.

عاش كل من **الأسباط الاثني عشر** (خَلَف بني يعقوب الاثني عشر) عيشاً مستقلاً. لكن رابطاً كان يربط بينها، هو رباط التاريخ المشترك ولاسيّما الاعتراف بالاله نفسه.

بين ١٢٠٠ و١٠٥٠، قام **«القضاة»** بتُّوا في النزاعات الداخلية. وأحياناً، اذا ظُلم سبط من الأسباط، كان الشعب ينهض من كل أنحاء البلاد، ويحمل سلاحه تلبيةً لنداء «**مخلِّص**» (هم

على صعيد **التاريخ الأدبي**، أين نحن؟ ليس لدينا حتى الآن أيّ كتاب. لكنّ هناك **روايات عن الآباء وعن الخروج من مصر** تتناقلها الألسنة، وكذلك **قصص عن القضاة** أو قصائد كـ «**نشيد دبورة**» الذي ربّما وُضع في حوالى ١٠٢٥ (قض ٥).

ولا داعي الى أن نرفض أن يكون موسى قد وضع خطيّاً **بعض القوانين** ولاسيّما **الوصايا** (خر ٢٠).

الى أوائل الاقامة في أرض كنعان يرقى، ولا شك، تحرير ما سُمّي «**كتاب العهد**» (خر ٢٠ / ٢٢ — ٢٣ و٣٣)، وهو يفترض وجود أناس مقيمين في أرض وعائشين في حضارة زراعية. وهذا الكتاب يستوحي، شأنَ شريعة موسى، من شرع عُرفي قديم عند شعوب مختلفة، ولاسيّما في مدوَّنة حمورابي.

الذين يسمّون كبار «القضاة»، كشمشون وجدعون ودبورة ...)، واذا زال الخطر، عاد كل واحد الى بيته.

وهنا أيضاً يتساءل المؤرّخ: أقام اسرائيل في أرض كنعان وكان فيها الآلهة الكنعانية المحلية ايل والبعل وعَشتروت. انه كثيراً ما وقع في التواطؤ معها فانتظر منها السِلم وخِصب الحقول والقطعان والنساء. ومع ذلك، وبالرغم من خطاياه، بقي اسرائيل أميناً لِيَهْوَه، لإله ابراهيم. ويشهد على ذلك «قانون ايمانه» (راجع يش ٢٤ وتث ٢٦).

النظام المَلكي

من نهاية القرن الحادي عشر الى ٥٨٧ ، عاش اسرائيل في النظام الملكي. وكان أدبه حديث العهد. لكنه ما لبث أن بلغ ذروته مع الأنبياء.

المملكة الموحَّدة : داود وسليمان

١٠٥٠ : بعد أن أُبعد الفلسطينيون من مصر، أقاموا على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، في منطقة غزَّة. كانوا محاربين غير مثقَّفين ، يُكثرون من شرب البيرة. فما لبثوا أن مارسوا ضغطهم على داخل البلاد. فشعرت مختلف الشعوب بأنهم في حاجة الى حكم قوي للوقوف في وجههم. وهذا هو أحد الأسباب التي دعت ، في هذا الجزء من الشرق الأوسط ، الى اقامة الحكم الملكي ، فنشأ في موآب ، كما نشأ في أدوم واسرائيل.

واختير شاول ملكاً وعند موته في القتال ، تمّ الاجماع على اختيار داود.

في حوالى السنة ١٠٠٠ : استولى داود على مدينة اليبوسيين وجعل منها عاصمته أورشليم. وبعد أن بايعته أسباط الجنوب ثم أسباط الشمال ، وبعد أن استولى على عاصمة خاصة به في وسط البلاد ، توصل الى انشاء مملكة موحَّدة. وساعده على ذلك أن «كبار» الشرق الأوسط الثلاثة كانوا في حالة ضعف : فالحثيّون كادوا أن يزولوا عن التاريخ ، والمصريّون أضنَتْهم النزاعات الداخلية ، والأشوريون كانوا يُفيقون من سبات طويل.

فاحتلّ المَلِك في اسرائيل مكانة تعد بمستقبل يُرجى منه كل خير. ولمَّا أرادوا تتويجه ، تبنَّوا الصيغة الطقسية التي وجدوها عند شعوب أخرى. ففي بابل مثلاً أو في مصر ، كان الكاهن يعلن على المختار قولاً من أقوال الاله المحلّي ، كـ «أنت ابني وأنا أبوكَ». فقال الله ، على لسان ناتان النبي ، إنه يتبنّى تلك العبارة التنصيبية : فـ «ابن داود» ، أي خليفته

الشرعي، يصبح «ابن الله» يوم تتويجه. وهذا اليقين لا يزال يشدّد رجاء الشعب في أحلك الساعات.

كان عهد داود ديناميّاً، كله حركة وحروب فتوحية أو دفاعية. أمّا عهد سليمان ابنه فكان جامداً. ذلك بأنه ورث المملكة من أبيه، فاكتفى بتنظيمها والتمتّع بها. فكان ذلك الزمن زمن سِلم، زمناً يمكّن من التفكير في الماضي. نظّم سليمان بلاطه على مثال بلاط صهره (أو أحد أصهاره! راجع ١ مل ١١ / ٣) الفرعون: ففي البلاط كتبة ومؤرّخون مكلّفون بتدوين أقوال الملك وأعماله. في هذا الوقت، أخذوا يجمعون التقاليد المبعثرة في ذاكرة الشعب.

عهد سليمان هو عهد نشأة الأدب بالمعنى الحصري في اسرائيل. يذكر الكتاب المقدس (عد ٢١ / ١٤ ويش ١٠ / ١٣ و٢ صم ١ / ١٨) سفرَين فُقدا، وهما «سِفر البار» وسفر «حروب الرب». ولا شك أنهم حرّروا في ذلك الزمن «**قصة تابوت العهد**» (١ صم ٢ / ١٢ — ١٧ و٢٢ — ٣٦ و٤ / ١ — ٢٢ و٥ — ٦) و«**قصة خلافة داود**» (٢ صم ٩ / ٢٠) — وجمعوا «**نشيد القوس**» (٢ صم ١ / ١٧ — ٢٧) و«**مرثاة أبنير**» (٢ صم ٣ / ٣٣ — ٣٤) اللذَين نظمهما داود، ولا شك، و**بعض المزامير** أيضاً على الأرجح. وجمعوا أيضاً أقوالاً مأثورة، وهي خلاصة الحكمة الشعبية، وستُدرج في وقت لاحق في سفر **الأمثال** (مثل ١٠ — ٢٢).

أخذوا يجمعون، على وجه خاص، ما تناقلته الألسن عن الآباء والخروج من مصر والدخول الى أرض كنعان. ومن هنا سينشأ «تاريخ يهوذا المقدس» أو التقليد اليهوي. يُسمّى التقليد اليهوي، لأن الكاتب يطلق على الله اسم «يَهْوَه».

وهذا التاريخ المقدس يتناول سيرة الآباء وروايات الخروج من مصر والدخول الى أرض كنعان والملوك الأوّلين. في انشاء ظريف، مليء بالصور، نجد أنفسنا أمام لاهوت في التاريخ يقوم على موعد الله. لكن الكاتب أسبق تلك الذكريات عن اسرائيل بـ «رواية في النشوء» لم تعد من التاريخ، بل هي من اللاهوت. ينطلق الكاتب من طريقة تصرّف الله مع أحد الشعوب، مع اسرائيل، فيتصوّر كيف تصرَّف الله مع جميع الشعوب، مع الانسان بوجه عام («آدم»)، ويُلبس هذا التفكير اللاهوتي ما شاع من أساطير زمانه.

عهد سليمان هو ذروة المملكة الموحّدة. لكنه بالغ في تقليد كبار الملوك، فاستغلّ شعبه. ولذلك كان التمرّد منذراً بالانفجار، فانفجَرَ عند وفاته. كان ابنه رحبعام سياسيّاً غبيّاً، فأدّت سياسته الى انفصال أسباط الشمال. فلم تدم المملكة الموحّدة إلّا سبعين سنة.

المملكتان

منذ ٩٣١، كانت هناك مملكتان:

- مملكة الجنوب أو مملكة يهوذا، وعاصمتها أورشليم. بقيت أمينة لسلالة داود. ملوكها أوغاد في أغلب الأحيان، لكنهم متحدِّرون جميعاً من داود.
- مملكة الشمال أو مملكة اسرائيل، وعاصمتها تِرصا مدةً من الزمن، ثم السامرة. عاشت قرنَين حافلَين بالثورات البلاطية، وكان ملوكها غير متحدّرين من داود.

فلكلمة «اسرائيل» معنيان: قد تدل على مجمل

الشعب أو على مملكة الشمال (خلافاً لمملكة الجنوب). وإن كان الكلام على مجمل الشعب، قيل: يهوذا واسرائيل، وهذا ما نراه غالباً عند الأنبياء.

وهاتان المملكتان شقيقتان: هما من نسل واحد، وتعبدان إلهاً واحداً ولهما تقاليد واحدة، لكنهما شقيقتان متعاديتان، تتحالفان أحياناً على عدو مشترك، لكنهما تتحاربان في أغلب الأحيان.

ذروة المملكتين (في حوالى ٧٥٠)

في حوالى ٧٥٠، وصلت المملكتان، في عهد ياربعام الثاني في السامرة وعزّيّا في أورشليم، الى ذروة عزّتهما. كانت ثلاثة شعوب صغيرة تقيم في تلك المنطقة: يهوذا واسرائيل ودمشق. وكانت متساوية القوة، فكان يُخشى أن يسيء الواحد الى الآخر، فيما لو قضت وقتها في التخاصم. لكنّ العدو الخارجي سيفيد المملكتين الى حين (لا تُذكر مصر في ذلك الزمن، لأنها كانت في انحطاط تام). ذلك بأن أشور استعادت قوّتها وحاولت أن توسّع سلطتها في اتّجاه البحر الأبيض المتوسط. وأوّل مملكة وجدتها في طريقها هي مملكة دمشق. وهذا ما يخدم مصلحة يهوذا واسرائيل خدمة رائعة: فمن جهة أولى، انشغلت دمشق على تلك الجبهة الثانية فلم تستطع أن تهاجمها، ومن جهة أخرى كانت لهما تُرساً ما دامت صامدة في وجه أشور. لكن هذا الوضع لن يدوم. لم تبالِ يهوذا واسرائيل بهذا الأمر، بل انصرفتا الى التمتع بغناهما. فلقد وصف لنا عاموس، بقريحة لاذعة، تلك العيشة المنحلّة التي كانوا يعيشونها في الدور الملبّسة جدرانها بالعاج.

في تلك الفترة، فترة الارتياح الماديّ، حيث ينسى الشعب إلٰهه ويظلم الأغنياءُ الفقراء، ظهر **الأنبياء**.

كان النبيّ، وهو رجل يتكلّم باسم إلٰهه (لا رجل يتنبأ بالمستقبل)، معروفاً في ذلك الزمن، في الشرق الأوسط. وصلت إلينا أقوال نبوية أُعلنت في بابل أو ماري أو موآب، باسم الاله المحلّي وفي أسلوب يشبه أحياناً أسلوب أنبياء اسرائيل.

هناك عدد من الأنبياء يدّعون التكلّم باسم الاله الحق، فكانت مشكلة الشعب ان يميّز بين الأنبياء الصادقين والأنبياء الكذّابين.

سيبحث سفر تثنية الاشتراع، في حوالى ٧٠٠ — ٦٥٠، عن بعض المقاييس الموضوعية (تث ١٣ و١٨)، ولن يجد، في آخر الأمر، إلّا ايمان الشعب. أن يُجري أحد الأنبياء آيات خارقة لتأكيد رسالته لا يدلّ على شيء. فإن لم يعلن «الدين اليهوي» الصحيح، أي الايمان الأصيل بيَهْوَه، كان نبيّاً كذّاباً.

يصعب هنا، أكثر منه في أيّ مكان، أن يُحسَن التمييز بين التاريخ العام والتاريخ الديني. فالأنبياء هم أناس يميّزون التدبير الالهي في الأحداث البشرية فيُرغمون معاصريهم على اكتشافه. انهم يتكلمون ويعملون في صميم التاريخ البشري، وكثيراً ما يتدخّلون لدى الملوك. وهم غالباً على صلة بالمعابد المحلية، وكثير منهم كهنة. فلا تعارض بين الكهنوت والحركة النبوية.

سبق **لايليا واليشاع** أن وعظا في مملكة الشمال، بعد ٩٠٠، لكنهما لم يتركا لنا أية كتابات. ورد ذكرهما في سفرَي الملوك: فسيرة ايليا

(١ مل ١٧ — ١٩ و ٢١ / ١ — ٢٩ و ٢ مل ١ — ٢ و ١٨) تصف لنا تلك الشخصية النارية التي اتخذها لوقا مثالاً الى حدّ ما ليصف لنا يسوع، وسيرة اليشاع (٢ مل ٢ — ١٣) هي تأليف كثيراً ما يصعب فيه التمييز بين الخارق والتاريخي.

أمّا التقليد «الايلوهي» (آ)، المسمّى بهذا الاسم لأنه يسمّي الله «ايلوهيم»، فقد نشأ في مملكة الشمال، ربّما على عهد ياربعام الثاني (٧٨٣ — ٧٤٣). لا شك أن فيه ردّ فعل على المفاسد الاجتماعية والدينية، وان الأجواء التي تسوده شديدة الشبه بأجواء عاموس، ولاسيما هوشع. كثيراً ما يوازي التقليد «اليهوي»، لكنه لا يحتوي على روايات نشأة العالم ويتوسّع أكثر منه في الاقامة في مصر.

مجموعة أولى من الأنبياء ظهرت في ما بين ٧٥٠ و ٧٠٠: عاموس وهوشع في مملكة الشمال، وأشعيا وميخا في مملكة الجنوب.

كان عاموس راعياً في منطقة بيت لحم وكانت لغته صريحة، فاختاره الله ليذهب الى مملكة السامرة ويذكّر بما يقتضيه برّ الله. قام تعليمه الاجتماعي على العهد، فذكّر بأن الاختيار من قبل الله لا يضمن للشعب خلاصاً تلقائيّاً، ولا يمكّنه من التصرّف كيفما كان. فان هذا الاختيار هو مسؤولية قبل كل شيء.

عاموس: دعوته: ٧ / ١٠ — ١٧ (وجه قصصي) و ٣ / ٣ — ٨ (لاهوت)
خلاصة رسالته: ٣ / ١ — ٢
إنصاف الفقراء: ٢ / ٦ — ١٦ و ٨ / ٤ — ٨
حياة الترف في السامرة: ٣ / ١٣ — ٤ / ٣ و ٦ / ١ — ٧
نشيد الى إله العالم (شمولية): ٤ / ١٣ + ٥ / ٨ — ٩ + ٩ / ٥ — ٦
الرجاء: ٣ / ١٢ (سيخلّص الله «بقية») و ٨ / ١١ — ١٢ و ٩ / ١١ — ١٥

كان **هوشع** نبياً رقيق النفس، فاكتشف، من خلال حدث شخصي (خيانة زوجته)، **حنان الله**: أحبّ امرأته بالرغم من سوء تصرّفها، فردّها إليه، بفضل حبّه، وردّ إليها قلبها الفتي. وأضاف: هكذا يحبّنا الله، لا لأننا صالحون، بل لنصبح صالحين. فهو يصوّر لنا، بنبرات مؤثّرة، حبّ الله لنا على صورة حبّ زوج للتي يحبّها. ولن ينقطعوا، بعد اليوم، عن التعمّق في هذه الصورة. وفي هذا الضوء، يتّخذ كل شيء معنىً جديداً، وتبدو شريعة سيناء في وجهها الحقيقي: فليس المقصود أيّ نوع من أنواع الاتفاقية، بل «عهداً» (كخاتم الزواج الذي يتبادله اللذان يحبّ الواحد الآخر) يربط كائنَين بالحب. وبالتالي يتغيّر اسم الخطيئة: فليست هي مخالفة لشريعة، بل رفض الحب أو، في لغة الأنبياء، «زنى» و «بِغاء».

هوشع: دعوته: ١ — ٣
محبة الله: ١ — ٣ (كالزوج) و ١١ (كالأب)
تلبية هذه المحبة: ٤ / ١ — ٣ و ٦ / ٤ — ٦ و ١٠ / ١٢ و ١٢ / ٣ — ٧
الخطيئة: ٤ / ٤ — ١٠ و ٥ / ١ — ٧ و ٧ / ١ — ٢
الرجاء: ١٣ / ٢ — ١٠

وعظ **أشعيا في أورشليم**. كان من وجهاء قومه فكانت نظرته السياسية واسعة الأفق. شاهد تردّد الملوك الواحد بعد الآخر بين التحالف مع مصر وسورية. كان سياسياً ثاقب الفكر، ولكنه كان مؤمناً قبل كل شيء، فأخذ يذكّر بأن ما يضمن الخلاص هو التحالف مع «الاله القدوس». رأى ان الشعب كان **متكبّراً**، فأعلن **الايمان** بقوة.

سيكون له تأثير بعيد في «المشيحية». يُدل بهذه الكلمة على احدى الصيغ التي سيتخذها رجاء اسرائيل. فـ«المشيح» (أو «المسيح» في العربية) هو الذي سيُقيم به الله ملكوته في آخر الأزمنة: «لن يزال ابن لداود، — أصبح ابن الله بالتتويج —، يملك على المملكة» (راجع ص ٣٥). آمن اشعيا بكلمة الله، لكن الملوك الذين كان يشاهدهم كثيراً ما كانوا أوغاداً! فأدرك ان هؤلاء لن يحقّقوا الموعد، لأنه يتخطّاهم، فليسوا سوى رسوم أوّلية. في المستقبل، يظهر ابن داود الحقيقي، «ابن الله» الحقيقي. في إمكانه منذ اليوم، بمناسبة مولد حِزقيّا الصغير، أن يشيد بهذا الـ«عمّانوئيل» («الله معنا») الذي سيأتي بالسلام الى الأرض.

أشعيا. يجمع سفر أشعيا أقوال عدة أنبياء وعظوا في أزمنة مختلفة:

- أشعيا الأول: اش ١ — ٣٩ (لكن، في هذه الفصول، نصوصاً لاحقة، ولا سيّما الرؤى: ٢٤ — ٢٧ و٣٤ — ٣٥).
- اشعيا الثاني (اش ٤٠ — ٥٥) وعظ في نهاية الجلاء الى بابل (في ٥٣٨).
- أشعيا الثالث (اش ٥٦ — ٦٦) وعظ بعد نهاية ذلك الجلاء.

لا نتكلّم هنا إلّا على أشعيا الأول.

دعوته: ٦

كتاب العمّانوئيل: ٧ و٩ و١١

الشهادة في أورشليم: ١ / ١ — ٩ و٣ / ١ — ١٥ و٣ / ١٦ — ٢٤ (بنات أورشليم) و٨ / ٥ — ١٠ و٢٢ / ١ — ٢٢ و٢٨ / ١ — ٦.

نشيد الكرمة: ٥ / ١ — ٧

الردّ على العبادة الخارجية: ١ / ١٠ — ٢٠ و٢٩ / ١٣ — ١٤.

الرجاء («البقية»): ٢ / ١ — ٥ و٤ / ٢ — ٤ و٨ / ١ — ٣ و٢٩ / ١٧ — ٢٤ و٣٠ / ١٨ — ٢٦.

المشيحية: كتاب العمّانوئيل و«البقية»: ٨ / ١١ — ١٥ (الله «صخرة»).

وعظ **ميخا** هو أيضاً في أورشليم في الزمن الذي وعظ فيه أشعيا. انه فلّاح عانى، في جسده، من الحرب واللاعدالة، فصعد الى أورشليم ينادي فيها بسخط الله.

ميخا. في آية واحدة، لخّص رسالة عاموس وهوشع وأشعيا: ٦ / ٨.

الردّ على اللاعدالة الاجتماعية: ٢ / ١ — ٥ و٣ / ١ — ١٢ و٧ / ١ — ٧.

المشيح راعٍ متواضع من بيت لحم: ٥ / ١ — ٥.

الرجاء: ٤ / ١ — ١٠ و٧ / ١٨ — ٢٠.

أورشليم بعد خراب السامرة (٧٢١ — ٥٨٧)

قتل وحريق واغتصاب وخوزقة وقوافل من المجلّوين... في ٧٣٢، استولى سرجون الثاني،

ملك أشور، على دمشق. فسقط الترس الذي كان يحمي المملكتَين.

وفي ٧٢١، تكرَّر المشهد، لكن السامرة هي التي سقطت في هذه المرة، فزالت مملكة الشمال عن الخريطة. كان الأشوريون يمارسون الجلاء النظامي في الشعوب المغلوبة. في منطقة السامرة، جاؤوا بمجلوّين أتوا من طرف الامبراطورية الآخَر. اختلطوا باليهود القلائل الذين أبقي عليهم، فكوَّنوا جوهر سكّان السامرة. فلا عجب أن يرفض اليهود الأصليون فيما بعد أن يعدّوهم إخوة مئة بالمئة، وان أخذوا يعبدون يَهْوه، الاله المحلّي.

التوراة: ملتقى **التقليدَين** اليهوي والايلوهي.
من المعقول أن يكون اللاويون، الذين نَجوا من مجزرة السامرة، قد لجأوا الى أورشليم، ومعهم كتبهم المقدسة، ولا سيما الروايات التي نسمّيها «التقليد الايلوهي». ومن الراجح ان اندماج هذا التقليد بـ«التقليد اليهوي»، المؤلَّف في أورشليم، قد تمَّ على عهد حزقيا.
الأمثال: وضع كتبة حزقيا مجموعة من «الأمثال». وهناك فئة تحمل اسمهم.

وفي ٧٠١، أتى سنحريب، ملك أشور، فحاصر أورشليم. لكنه ما لبث أن اضطرَّ الى فكّ الحصار. فحصلت أورشليم على تأجيل.
لكن العبرة لم تبلغ هدفها. فإن رجالاً كافرين خلفوا حزقيا الملك الحكيم الذي كان يعمل بمشورة أشعيا.
وفي ٦٤٠، ملك يوشيا وهو صغير السنّ. وفي أيامه ظهر جيل جديد من الأنبياء: **صفنيا وناحوم وحبقّوق ولا سيما إرميا**.

وعظ صفنيا في حوالى ٦٣٠، ولم يكن يوشيا قد أعاد الايمان الصحيح. وكان قويّ الخُلق كأشعيا. فصُعق: اذ لم يكن «في وسط» الشعب أبرار، إلّا الله. لكنه وحده! فسيأتي الله في وسط هذا الشعب ويكون ذلك اليوم يوم غضب.
أمّا المستقبل، فالله يلمح ان هذا الشعب، اذا ما طهَّره بمحبته، يستجيب له بقلب الفقير (هذه نقطة انطلاق المثال الأعلى لـ«الفقر» أو للاستسلام بين يدي الله). «وسيكون الله حاضراً في وسط صهيون الفتاة». من الأمور التقليدية في جميع الحضارات أن تُتّخذ المرأة رمزاً للشعب. فصهيون الفتاة هي رمز للشعب. وسيجعل الله منها «صهيون العذراء» ويكون حاضراً حضوراً تاماً في أحشائها. لم يخف ذلك على لوقا، يوم كتب رواية التبشير.

صفنيا. «يوم غضب...»: ١ / ١٤ — ١٨
الوضع في أورشليم: ٣ / ١ — ٥
«صهيون العذراء» للمستقبل: ٣ / ٩ — ١٨

سيحاول يوشيا، بضربات سيف أحياناً، أن يردّ شعبه الى الله. يبدو ان تلك الجهود التي بذلها كانت مرتبطة بـ«العثور على» سفر تثنية الاشتراع.

سفر تثنية الاشتراع

في ٦٢٢، بمناسبة أعمال ترميم في الهيكل، عثر عظيم الكهنة على ملفّ فحمله الى الملك يوشيا. فلمّا سمع الملك قراءته، مزّق ثيابه حُزناً، لأنه كان عالماً

بأنهم لا يمارسون ما يعلّمه هذا السفر، وقام بحملة اصلاحية في المملكة كلها. ذلك بأنهم عثروا على **سفر تثنية الاشتراع**، أو قلّما على قسمه الأساسي (راجع ٢ مل ٢٢).

نشأت نواة سفر تثنية الاشتراع هذه، في مملكة الشمال، من الحاجة التي شعروا بها الى «اصلاح» الشريعة لتكييفها على أوضاع للشعب أشدّ تطوّراً. وهناك ما قد يكون أهمّ من ذلك، فإن بعض الأنبياء، كهوشع، كانوا قد كشفوا عمّا في عهد سيناء من معنى عميق: فكانت اعادة النظر في الشريعة مناسبة للدلالة على أنها شريعة محبة. ولمّا سقطت السامرة، ذهب اللاويون بهذا النص الى أورشليم، فبقي في زاوية من زوايا مكتبة الهيكل مدة مئة سنة. وهذه الشريعة هي التي عُثر عليها في أيام يوشيا والتي حاول أن يطبّق أحكامها.

وتلك النواة الأساسية، التي تظهر بمظهر خطبة طويلة لموسى، ستُستكمَل منذ ذلك الحين، وسيضاف إليها، بعد الجلاء، مقدمة (تث ١ — ٤)، وخاتمة (تث ٢٨ / ٤٧ — ٣٠).

سفر تثنية الاشتراع. أقدم قانون ايمان في اسرائيل: ٢٦ / ٥ — ١٠.
قلب الايمان اليهودي: ٦ / ١ — ١٣ («إسْمَع»: ٦ / ٤ — ٩).
محبة الله لشعبه: ٤ و٧ / ٧ — ١٥.
كلمة الله: ٣٠.
معنى البرية: ٨ / ١ — ١٩.

«**تاريخ تثنية الاشتراع المقدس**» تحت تأثير كتبة تثنية الاشتراع، اتّخذت أسفار **يشوع والقضاة وصموئيل والملوك** صيغتها النهائية بين ٦٢٢ و٦٠٩. لكنّ تنقيحات وتكملات ستضاف إليها بعد ٥٨٧. وهذا التأثير واضح في سفر القضاة مثلاً. لقد جمع الكاتب «قصصاً مسلّية» عن ذلك الزمن ونظّمها للدلالة على مطلوبه، وهو ان الشعب، اذا كان أميناً لله، عاش في سلام وكان سعيداً. واذا خطئ، ظلمه أعداؤه. حينئذ يعود الى الله فيغفر له ويخلّصه. وبما انه سعيد، ينسى الله، فيعاني من الظلم...

٦١٢: انقلاب فجائي! استيقظت بابل من سباتها الطويل واستولت على نينوى، عاصمة أشور.

يحسن بنا أن نطالع، في أقوال **نحوم** النبي، ذلك الوصف المدهش لمعركة المركبات في شوارع نينوى المغمورة بالمياه. صفّق العالم بأسره لدمار العدو. لكنه لم يدرك أن ما جرى مجرّد تغيير في هوية المتسلّط. فالقائد الظافر يسمّى نبوكدنصّر، وكان اهتمامه الأول القيام بحملة ضدّ مصر.

وفي ٦٠٩، تحالف الفرعون **نكو** مع أشور المنازعة وصعد لايقاف تقدّمه. وأراد يوشيا سدّ الطريق على نكو. فقُتل في معركة مجدّو (٢ مل ٢٣ / ٢٩ — ٣٠).

ان هذا الموت الفاجع الذي ذهب الملك البار ضحيته كان له وقع شديد على المؤمنين: فلماذا يموت من توكّل على الله هذا الموت المؤسف؟ هكذا انتهى ذلك الاصلاح، قبل أن يصل الى أعماق القلوب.

وفي ٦٠٥، انتصر نبوكدنصّر في كركميش، فانفتح أمامه طريق فلسطين.

شاهد **حبقوق** النبي ذلك التدفّق متعجّباً: فقد بدا له البابليون أداةً في يد الله لتدمير أشور. لكن، ما أشدّ قساوتهم! فكيف يستعمل الله وسائل على

هذا الجانب الكبير من النجاسة؟ ولماذا ينجح الأشرار دائماً؟ هذه مشكلة الشر، على مستوى الأمم، تُطرح في كل شدتها. فيجيب الله: بالايمان يحيا البار.

حبقوق. مشكلة الشر والايمان: ١ / ١ — ٢ و ٤

صلاة (أمان وفرح في الله في أعظم الكوارث): ٣.

٥٩٨: استولى نبوكدنصَّر مرةً أولى على أورشليم، وجلا جزءاً من السكان وأقام فيها ملكاً مأجوراً له. ولكن، ما إن أدار ظهره، حتى تحالف هذا الملك مع مصر. فغضب نبوكدنصَّر وعاد.

وفي ٩ / ٧ / ٥٨٧ (أو ٥٨٦)، استولى على المدينة ودمَّرها وأحرق الهيكل وتابوت العهد وجلا السكان الى بابل...

كانت هذه نهاية مملكة يهوذا، وانتهت ملحمة جميلة دامت خمسة قرون.

كانت السنة ٥٨٧، في نظر البشر، نهاية الشعب: لم تبق أرض ولا مَلِك ولا هيكل، ولا يجوز حفظ الشريعة... من الطبيعي أن يُكتب لهذا الشعب أن يمّحي من خريطة التاريخ، كما جرى لمملكة الشمال قبل قرن ونصف، وكما جرى لكثير من الشعوب.

والحال ان هذا الشعب، بدل أن يزول في العاصفة، وجد فيها حياة جديدة. وهو مدين بهذه «القيامة» لنبيَّين: **ارميا أولاً**، ثم **حزقيال**.

أخذ **ارميا** يعظ على عهد يوشيا، في حوالى ٦٢٧. كان عالماً بمحاولة الاصلاح التي قام بها هذا الملك، عالماً بصعود بابل المُقلق (كانت ٦٠٥ نقطة تحوّل). وبالاستيلاء الأول على أورشليم. وبتأجيل السنين العشر حيث لم يستطع أن يحول دون سياسة الملك الخرقاء. وأخيراً بخراب أورشليم. أبقى عليه العدو. فجرَّه الأصدقاء الى طريق المنفى في مصر حيث توفي.

قام دور إرميا على اعطاء معنى للكارثة قبل وقوعها، وبالتالي على تحويل خراب الشعب الى اطّهاره. بينما كانت مملكة يهوذا لا تزال تعيش في الارتياح، أنبأ بالمصيبة. فرفضوا أن يسمعوا له واضطهدوه. لكنه لم ينقطع عن الاعلان: «تُكرم إلهك بالطقوس، وتمارس الختان، وتحترم الشريعة والهيكل في الظاهر... لكنك جعلتَ من كل ذلك «ديانة»: تظنّ ان هذه الممارسات الظاهرة تُلزم الله بحمايتك. فلكي تفهم ان كل ذلك ليس هو إلّا ظاهر الايمان، سيدمّر الله أنواع أمنك الكاذبة، فقد تدرك عندئذ ما هي الديانة الباطنية...».

لولا إرميا، لفكَّر الشعب هذا التفكير: «ان نبوكدنصَّر قد دمَّر أمتنا، فإلهه اذاً أقوى من إلهنا: فَلْنَخْدمْه». ولكن الشعب سيفهم في الجلاء، بعد فوات الأوان، وبفضل إرميا، أن إلهه أقوى، بما أنه أنبأ بهذه الشرور. واذا أذن بها، فلكي يستخلص الشعب منها عبرةً. وهكذا فإن هذا الشعب، بعد أن دُمِّر، كمملكة خاطئة، سيعود الى الحياة، كجماعة مقدسة.

ارميا. دعوته: ١

قلب رسالته: ٣٠ — ٣١ (العهد الجديد: ٣١ / ٣١ — ٣٤).

«الاعترافات» : ١١ / ١٨ — ١٢ / ٥ و١٥ / ١٠ — ٢١ و١٧ / ١٤ — ١٨ و١٨ / ١٨ — ٢٣ و٢٠ / ٧ — ١٨.

النداءات الى الشعب الذي «ترك» الله : ٢ — ٣.

أنواع الأمان الكاذبة : ٧ و٩ / ٢٤ — ٢٥ و١١ / ١٥ — ١٦ و١٧ / ١٩ — ٢٧ و٢٦.

بعض العلامات النبوية : ١٣ / ١ — ١٤ و١٦ / ١ — ١٣ و١٨ / ١ — ١٢ و١٩.

الرجاء : ٢٣ / ١ — ٨.

المزامير : ديانة القلب هذه ، التي أوضحها إرميا ، ألهمت بعض المزامير ، مثلاً : ٦ و١٦ و١٧ و٢٢ ...

الجلاء الى بابل (٥٨٧ — ٥٣٨)

في ٥٩٨، وصلت الى بابل جماعات من اليهود يُرثى لها. أمل واحد كان يشدّد عزائمها: لم تدمَّر أورشليم، وهناك ملك يملك، والهيكل لا يزال قائماً. بينهم كاهن، هو **حزقيال**، أخذ يكرّر أقوال إرميا المُنذرة، محاولاً اسقاط الأوهام الكاذبة. فكان ذلك عبثاً.

ولكن، حين وصل في ٥٨٧ آخِر سكّان أورشليم وملكهم، كان لا بدّ من الاعتراف بواقع الحال: كان إرميا وحزقيال على حق، وعندئذ تغيّرت لهجة حزقيال، اذ إنه أراد أن يُعيد الرجاء لشعبه. رسالته (حز ٣٣ — ٤٨) الموجَّهة الى المستقبل قامت بدور كبير في حياة اسرائيل، وأثّرت في ايمانه وممارساته. ذلك بأن حزقيال كان له شعور شديد بقداسة الله، وكان يريد أن يعبِّر عن ذلك بالكيان كله. من هنا الأهمية التي يعلّقها على كيفية الاحتفال بالعبادة.

ولكن، مع الأسف، ما كان في نظره تعبيراً عن موقف روحي سيصبح «ديانة»: سيواصلون في وقت لاحق مراعاة تلك التوجيهات الطقسية بكل دقة، وبدون روح، ظنّاً منهم أنها تكفي للحضور أمام الله.

حزقيال أبو «اليهودية»، أي أبو الحضارة اليهودية اللاحقة للجلاء في جميع وجوهها، الثقافية والدينية. هذه اليهودية ستنقلب أحياناً الى «الفريسية»، لكنها ستخلّف أيضاً «فقراء الله»، يعيشون بذلك الروح الذي رآه النبي مفاضاً في القلوب لكي يحوّلها (٣٦/ ٢٦).

حزقيال. لم يعد الله يقيم في مكان (هيكل)، بل في شعب: ٩/ ٤ — ٥ و١٠/ ١٨ — ٢٢ و١١/ ٢٢ — ٢٣ و١/ ٤ — ١٨ و٤٣/ ١ — ١٢.

اسرائيل زوجة باغية: ١٦ و٢٣.

المسؤولية الشخصية: ١٨

شِعر حزقيال: ١٥/ ١ — ٨ و٢٦/ ١ — ٦ و٢٧/ ٣ — ٤ و٢٥ — ٣٦ و٢٨/ ٢ — ١٩.

الرجاء : ٣٤ / ١ — ٣١ (الله راعٍ) و ٣٦ / ١٦ — ٣٦ (العهد الجديد بالروح) و ٣٧ / ١ — ٢٨ (العظام المجفّفة — الشعب — تعود الى الحياة).

رؤية شعب المستقبل : ٤٧ / ١ — ١٢ و ٤٨ / ٣٠ — ٣٥.

المراثي. في أورشليم، قام شاعر مجهول الهوية يتأمّل في اطلال المدينة المقدسة، بنبرات مؤثّرة، لمناشدة محبة الله (مرا ٣ / ٢٢ — ٣٣).

سيعيش اليهود في بابل نصف قرن. لم يعد لهم هيكل ولا عبادة ولا مَلِك ولا امكانية لتقريب الذبائح. لم يبق لهم، بفضل إرميا وحزقيال، سوى الايمان بإلههم وتقاليدهم. سيتأمّلون ويتعمّقون فيها ويعودون الى تاريخهم الماضي للبحث عن معناه. ومن جهة أخرى، يعيشون في ظلّ «برج بابل»، ويسمعون الأساطير وروايات انشاء الكون التي كان أهل بابل يفسّرون بها نشأة العالم وأوضاع البشر. كل ذلك سيقوّي عندهم تيّاراً روحياً يسمّى «كهنوتيّاً» سيؤثّر في التاريخ اليهودي حتى مجيء المسيح.

التيار الكهنوتي

كان هؤلاء اللاهوتيون، انسجاماً مع رسالة حزقيال، حريصين قبل كل شيء على قداسة الله، يعترفون بها ويحتفلون بها في العبادة. انهم يحبّون الملخّصات التاريخية، يتناولون بها تاريخ اسرائيل ويحاولون أن يروا فيها التدبير الالهي.

سفر الأحبار. هذا السفر «كهنوتي» بتحريره، وهو يتناول بعض العناصر العريقة في القدم، كـ«شريعة القداسة» (١٧ — ٢٦). يبدو لنا غريباً، مليئاً بالدم والتحريمات الجنسية، ومع ذلك فهو فتّان: فهناك لازمة تقطّع صفحاته: «كونوا قدّيسين، فإني أنا الاله قدّوس». ولا بدّ لهذه القداسة أن تغيّر وجه الحياة المرموز إليها بالدم،

سكن بيته

قال أحدهم: «البيت الذي لم تَبنِه يصبح بيتك إن سكنتَه». في الحياة أحداث «تنقضّ علينا»، نقف عاجزين أمامها: أحداث شخصية (حادثة أو فشل أو مرض أو موت...)، أو جماعية (كارثة أو حرب...). ومع ذلك بإمكاننا أن نعمل شيئاً: أن نعطيها معنىً، أن «نسكنها»، أن نجعلها جزءاً من قصتنا الشخصية. فإن قبلناها كأمرٍ (قد نأسف له) جعلَنا نصير شيئاً آخَر، ننطلق مرة أخرى ونحاول، بما أصبحناه، أن نبني. على كلٍّ منّا أن يتملّك الأحداث بدون انقطاع وأن يجعلها خاصة به.

في امكان المؤمن أن يذهب الى أبعد من ذلك: في امكانه، لا أن يُعطي للأحداث معنى فقط، بل أن يرى فيها معنى في صلته بالله. لا أن يقول: «هو الله أراد ذلك، فعليَّ أن أخضع»، بل أن يكتشف طريقة جديدة للعيش مع الله.

ما تفعله بعد فوات الأوان، بعد أن تكون الأحداث قد أثّرت فينا، فعله إرميا لشعبه «قبل فوات الأوان»، فكشف له مسبقاً معنى الأحداث التي سيعيشها.

ووجه الجِنسيّة التي تورث هذه الحياة. ان تخطّينا ما في هذا السفر من فتاوى تخطّاها الزمن، ساعدنا على العيش في حضرة الله القدوس.

قداسة الله ينبوع المحبة الأخوية: ١٩/ ١ — ١٧.

السبت والأعياد السنوية: ٢٣/ ١ — ٣٨.
يوم التكفير: ١٦

التقليد الكهنوتي: في التوراة (ك): هذا التقليد يُبرز مراحل العهد المتعاقبة: قُطع أولاً مع البشرية كلها (رواية خلق العالم المستوحاة من الأساطير البابلية، تك ١/ ١ — ٢ و٣)، ثم مع البشرية التي أُنقذت من الطوفان (نوح: تك ٩/ ١ — ١٧)، ثم حُصر في شعب مع ابراهيم (تك ١٧/ ١ — ١٤)، فموسى (خر ١٢/ ٣٧ — ٣٨ و١٣/ ٢٠ و١٤ و١٩/ ٣ — ٦).

في أيام الجلاء الأخيرة، قام أحد تلامذة أشعيا، مجهول الهوية (نسمّيه أشعيا الثاني)، يعظ الشعب بالرجاء، ويذكّره بأن إلهه هو الذي أنقذنا من دار العبودية (مصر) وبأنه سيكرّر عجائبه لخروج جديد.

أشعيا الثاني (اش ٤٠ — ٥٥). دعوته: ٤٠/ ١ — ٨.
البُشرى: ٤٠/ ٩ — ١١ و٥٢/ ٧ — ١٢.
الخروج الجديد: ٤١/ ١٧ — ٢٠.
الاله القدير: ٤٠/ ١٢ — ٣١ و٤٣/ ٨ — ١٢.
قورش «المحرِّر»: ٤١/ ١ — ٥ و٢٥ — ٢٩ و٤٢/ ٥ — ٧ و٤٥/ ١ — ٦ و١١ — ١٣.
محبة الله: ٤٣/ ١ — ٧ و٤٩/ ١٤ — ١٦.
الشمولية: ٤٥/ ١٤ — ١٧.
العبد اسرائيل: ٤٢/ ١ — ٧ و٤٩/ ١ — ٩ و٥٠/ ٤ — ٩ و٥٢/ ١٣ — ٥٣ و١٢ (العبد المتألّم).

العصر الفارسي (٥٣٨ — ٣٣٣)

٥٣٨ : تسلّل قورش ، ملك الميديين والفُرس ، الى مدينة بابل ، من مجرى النهر ، بعد أن جفّفه في ليلة واحدة ، واستولى عليها من دون أية ضربة سيف. كان ملكاً انسانيّاً ، فأذن للمجلوّين بالعودة الى بلادهم (راجع «مرسوم قورش» : عز ١ / ٢ — ٤ و٦ / ٢ — ٥ و٢ اخ ٣٦ / ٢٣).

اختار قسم من اليهود البقاء في بابل ، وألّفوا فيها مركزاً يهوديّاً ازدهر الى زمن متقدّم من عصرنا. لكن عدداً قليلاً من المجلوّين عادوا الى فلسطين. كان التمركز عسيراً ، لأن أراضيهم كانت محتلّة.

عدّة أنبياء ساندوا جهودهم : **حجّاي** الذي حثّ الشعب على اعادة بناء الهيكل ، **وزكريا الأول** (زك ١ — ٨) ، وتلميذ أشعيا الذي يسمّى «**أشعيا الثالث**».

أشعيا الثالث (اش ٥٥ — ٦٦).

ذروة الكتاب : ٦١ (العبد المكلّف بتبشير الفقراء).

مجد الشعب المولود ثانية : ٦٠ و٦٢

الدعوة الى مجيء الله : ٦٣ / ٧ — ٦٤ / ١١.

الشعب الجديد ومحبة الله الأمومية : ٦٦ / ٥ — ١٦.

٥١٥ : تمّت اعادة بناء الهيكل. انها ساعة هامة في عمل التجديد الذي واصله بنشاط يهوديان من كبار الموظفين في بلاط ملك الفرس : **نحميا** (ما بين ٤٤٥ و٤٣٣) ، **وعزرا** (٣٩٨). والسفران اللذان يحملان اسمها يزيحان الستار قليلاً عن ساعة من تلك الفترة الزمنية التي لا تزال غامضة لنا.

في ذلك الزمان ، كانت مصر تخلع نير الفُرس. فكان ملك الفرس أرتحششتا يسعى الى تنظيم فلسطين ، وكانت منطقة الحدود مع مصر. فلا عجب أن يرسل الى أورشليم «وزير شؤونه الدينية» ، عزرا ، ويكلّفه باعادة تنظيم الشعب. فأعاد عزرا العمل بالشريعة اليهودية فأصبحت

شريعة الدولة. لهذا الاصلاح أهمية كبرى لمستقبل الشعب اليهودي، فعزرا هو في الحقيقة أبو اليهودية (إقرأ نح ٨: إصدار الشريعة الرسمي).

لم تعد مملكة اسرائيل دولة سياسية، بل أصبحت جماعة دينية. فعاشت، مدة هذَين القرنَين، في سِلم الى حدّ ما، خاضعة للفرس. وأخذت تُشعّ أيضاً على عالم البحر الأبيض المتوسط بـ «شتاتها» (الجماعات اليهودية المنتشرة بين الأمم)، ولقد أصبحت الاسكندرية، بعد ذلك بمئة سنة، الى جانب فلسطين وبابل، المركز اليهودي الهام الثالث.

ظهرت بعض الأسفار مدة هذَين القرنَين. وبما انه يصعب علينا أن نؤرّخها بدقة. فالأفضل أن نصنّفها الى وحدات أدبية.

١. الأنبياء

أخذت الحركة النبوية تزول أو تتحوّل الى رؤيا. ومع ذلك، فقد وعظ بعض الأنبياء في تلك الفترة: **عوبديا وملاخي ويوئيل**، و «**زكريا الثاني**» (زك ٩ — ١٤)، ورؤيوا **أشعيا** (اش ٣٤ — ٣٥ و ٢٤ — ٢٧).

ملاخي جعل الشعب «يستعرض حياته». الإنباء بمجيء الله الى هيكله: ٣ / ١ — ٥٥ ومجيء ايليا: ٣ / ٢٣ — ٢٤.

يوئيل. الدعوة الى التوبة: ٢ / ١ — ٢ و ١٢ — ١٨.

هبة الروح لجميع الناس: ٣ / ١ — ٥ (راجع رسل ٢ / ١٧ — ٢١).

زكريا الثاني. المشيح المتواضع: ٩ / ٩ — ١٠ (راجع متى ٢١ / ٥).

الله راعٍ: ١١ / ٤ — ٧ (راجع متى ٢٧ / ٣ — ١٠).

الله المطعون في شخص عبده: ١٢ / ١٠ — ١٣ (راجع يو ١٩ / ٣٧).

الخراف المشتّتة: ١٣ / ٧ — ٩.

بهاء الشعب المقبل: ١٤.

٢. «المؤلّفات»

بفضل الهدوء السياسي والنضج الناتج عن الألم، تمكّن اسرائيل من التفكير في معنى الحياة والموت. فكان ذلك الزمن زمن الدخول في التفكير والحكمة. فتناولت بعض الأسفار المسائل البشرية الكبرى، في فنون أدبية مختلفة: حكمة تقليدية (**الأمثال**)، وروايات تعليمية (**راعوت ويونان**)، وشعر (**أيوب ونشيد الأناشيد**)، وصلاة طقسية (**المزامير**).

الأمثال. في هذا الزمن، ولا شك، وُضعت المجموعة يتقدّمها مدخل طويل (مثل ١ — ٩) مركّز كله على تمجيد حكمة الله. وبدأت هذه الحكمة تصبح «أحداً» يكاد أن يمتاز عن الله الذي اتّخذها مثالاً حين خلق العالم (٨ / ٢٢ — ٣١).

راعوت. قصة جميلة تردّ على تشتّع بعض اليهود (ربّما نحميا): فداود هو حفيد امرأة غريبة.

يونان. يصنّف هذا السفر مع الأنبياء، مع أنه مثل يعلّمنا أن الله يريد خلاص جميع الناس.

أيوب أو معنى الألم.

اليأس: ٣ و ٦ — ٧ و ٢٩ — ٣٠ (الله غائب).

الله وحده يعرف الحكمة : ٢٨ .
فحص ضمير : ٣١ .
«جواب» الله : ٣٨ .

٣. التوراة وعمل المحرِّر

في هذا الزمن اتخذت التوراة صيغتها النهائية. قامت المدرسة الكهنوتية (قد يجوز التوضيح بأنها عزرا) بدمج التقاليد الأربعة التي نشأت على مرّ التاريخ، في كتاب واحد (مقسَّم الى خمسة أسفار : **التكوين والخروج والأحبار والعدد وتثنية الاشتراع**). هكذا دوّنت الشريعة التي أصدرها عزرا، وهي أساس الوضع القانوني الذي عرفه اليهود في الامبراطورية الفارسية.

العصر الهلّيني أو اليوناني (٣٣٣ — ٦٣)

٣٣٣ : تاريخ يدل على نقطة تحوّل، وان لم تظهر نتائجها إلّا في وقت لاحق. بعد أن فتح الاسكندر المقدوني بلاد اليونان، ربح معركة ايسوس (في سورية الحالية)، فانفتح أمامه الشرق الأوسط. طوالَ عشر سنين، انتقل من انتصار الى انتصار، في امبراطورية تمتدّ على خمسة آلاف كلم حتى بلاد الهند، فنشر الثقافة اليونانية واللغة «الشائعة» التي ستحلّ بعد اليوم محلّ الآرامية.

ولمّا توفي، تقاسم قوّاده الامبراطورية. فكانت مصر من نصيب بطليمس ولاجُس (من هنا اسم «اللاجيين» الذي أُطلق على خلفه)، وسورية من نصيب سلوقس (من هنا اسم «السلوقيين»).

لكن فلسطين وقعت مرّة أخرى بين اثنين! فمدة مئة سنة، خضعت للّاجيين. ولمّا كانوا يحترمون الكيانات القومية، تركوا اليهود يعيشون في سلام بحسب الوضع الذي حدّده عزرا في العصر الفارسي. فتمتعوا هكذا بحكم ذاتي واسع.

وصل إلينا من ذلك الزمن عدد من المؤلّفات الآتية من فلسطين، لا بل من الاسكندرية أيضاً، حيث نشأ مركز ثقافي هام.

في فلسطين

أنهى «المحرِّر» (فريق لاهوتيين، ولا شك، ينتمون الى المدرسة الكهنوتية) «تاريخه المقدس» الذي ينقسم في وضعه الحالي الى أربعة أسفار: **سفر الأخبار الأول والثاني وسفر عزرا وسفر نحميا**. في السفرَين الأولَين، يكتفي بسرد التاريخ الذي رواه سفرا صموئيل وسِفرا الملوك. لكنه يقرأها بصفته لاهوتيّاً ليكتشف معناها. ان المقارنة بين عمله وأمثلته كثيراً ما تكون مفيدة، لأنها تمكّن من ملاحظة التقدم الذي أحرزه فهم تاريخ اسرائيل في أربعة قرون.

سِفر الأخبار. قارن بين نبوءة ناتان لداود بحسب ١ اخ ١٧ / ١ — ١٥ ، ونبوءته بحسب ٢ صم ٧ / ١ — ١٧ : لم يعودوا يتصوّرون إمكانية الخطيئة عند «ابن داود» ، وأخذوا ينظرون الى مملكته نظرهم الى مملكة الله.

عزرا. صلاته : ٩ / ٦ — ١٥.
نحميا. يوم مولد اليهودية : ٨.
الاعتراف بالخطايا : ٩.

وهناك كاتب يستتر تحت اسم مستعار **«كوهيليت»** (الجامعة) ويستعمل فنّاً أدبيّاً يختلف كل الاختلاف، ويبدو شديد التشاؤم : «كل شيء هَباء». لكن كتابه هو، قبل كل شيء، درس في ثقوب الفكر امام سخافة الحياة.

سِفر **طوبيا** رواية حِكَمية شرقية الانتماء (لا سيما في ما يختص بالملائكة) ، تهدف الى إظهار المبادرة في محبة الله للانسان. كتاب رائع في الزواج.

أمّا **يشوع بن سيراخ** ، وهو أيضاً حكيم ، فإنه يشعر بأن الحضارة الهلينستية ، بما فيها من ثقافة ومؤسسات رياضية ، تُغري اخوته. فيحاول ، في كتاب أخلاقي طويل ، أن يبرهن لهم على أن الايمان وحده يوفّر لهم الحكمة الصحيحة. كتب قبل ١٩٠. ولم يصل إلينا إلّا الترجمة اليونانية التي وضعها حفيده بعد ذلك بنحو ستين سنة.

ابن سيراخ. نشيد في «مخافة» الله : ١ / ١١ — ٢٠.
فرح الذي حصل على الحكمة : ٤ / ١١ — ١٩.
حكمة الله : ٢٤
معرض الأجداد : ٤٤ ت

نجد في كل صفحة رسوماً صغيرة رائعة. مع شيء من البغض للنساء. في الزوج والمرأة والصداقة والوالدين والأولاد والأطباء والمآدب والخمر والحرية...

في الاسكندرية

الترجمة اليونانية **السبعينية** للكتاب المقدس : لم يعد يهود الاسكندرية يفهمون اللغة العبرية. فتمنّوا أن تُترجَم الشريعة الى اليونانية وتُقرأ في المجمع. هناك خرافة تروي ان ٧٢ يهودياً جاءوا من فلسطين وترجموا الشريعة في ٧٢ يوماً وان ترجماتهم الاثنتين والسبعين كانت متطابقة تماماً. ومن هنا اسم «السبعينية» الذي يُطلق على هذه الترجمة. وفي هذه الخرافة دليل على طابع القداسة الذي كانوا يعترفون به لهذه الترجمة. أمّا الواقع، فانها عمل خليط بوشر في القرن الثالث وامتدّ الى نهاية القرن الثاني. وهي في بعض الأحيان تكييف أكثر ممّا هي مجرّد ترجمة. وتكشف لنا كيف كانوا في ذلك الزمان يفسّرون بعض فقرات الكتاب المقدس.

ساعدت هذه الترجمة على صياغة المفردات والانشاء التي ستُستعمَل في تدوين العهد الجديد.

١٩٨ : أفيال سورية تهزم الجيش المصري عند ينابيع الأردن. وهوذا عصر الشهداء لا يلبث أن يبدأ في اسرائيل. ذلك بأن اسرائيل أصبح تحت امرة السلوقيين. وهم رفضوا وضعه الخاص وفرضوا عليه بالقوة الثقافة والدين الهلّينستي. وفي ١٦٨، شنّ عليه انطوخيوس الرابع اضطهاداً هائلاً. فأقام في الهيكل «شناعة الخراب» (مذبحاً لزفس، ولا شك). نتج عن ذلك ردود فعل مختلفة.

١. السيف في قبضة اليد: المكّابيون

أوغَلَ متتيا، ثم ابنه يهوذا الملقَّب بالمكّابي، ونظَّما المقاومة المسلّحة. فأدَّى حربهما الى تحرير أورشليم في ١٦٥. نجح إخوة يهوذا ثم خلفهم في اعادة مملكة اسرائيل مدةً من الزمن. وفي السنة ٤٠ ق. م.، أقامت رومة هيرودس ملكاً فتزوّج من مَريَمّة، وهي آخر خلف تلك السلالة.

سفر المكابيين الأول. يروي هذا الكتاب ملحمة المكابين، وهو يؤيّد قضيتهم.

٢. ضمّ اليدَين

أظهر مؤمنون آخرون تحفّظاً أمام سيف المكابيين: فالله وحده يقدر أن يمنح الخلاص. فلا بدّ من الابتهال الى الله لكي يتدخّل، ومن تقديم العنق لسيف المضطهدين، بانتظار ذلك التدخّل. هذا كان موقف كتّاب الرؤى. لم يصلنا منها إلّا سفر **دانيال**. من الراجح أنه وُضع في حوالى ١٦٤، لكن كاتبه يتظاهر بأنه يكتب قبل ذلك بأربعة قرون، في أثناء اضطهاد آخر، الاضطهاد الذي أدّى الى الجلاء الى بابل.

دانيال. قصص ذات مغزى أدبي: ١ — ٦.
«ابن الانسان»: ٧ (رمز الشعب المضطهَد، الذي مجّده الله. أصبح «أحداً» في شخص يسوع المسيح).
القيامة: ١٢ / ١ — ٤ و١٠ — ١٣ (أول نص واضح في القيامة).

سفر المكابيين الثاني، الذي كُتب قبل الأول، قد يكشف لنا، من خلال قصص دينية، روحانية الفريسيين الذين أخذوا في ذلك الزمان «ينفصلون» (يقال ان هذا هو معنى الكلمة)، بمثال الطهارة الأعلى، عن كافة اليهود وخلف المكابيين.

سفر المكابيين الثاني. استشهاد الاخوة السبعة: ٧
الايمان بالقيامة: ١٢ / ٣٨ — ٤٥.

هناك قصّتان مماثلتان (ليستا من التاريخ) قد تهدفان الى الغاية نفسها، وهي ان الله وحده يخلّص شعبه باختياره أضعف الوسائل: يد امرأة. هما سِفرا **أستير** (ربّما كُتب في القرن الثالث) **ويهوديت**.

٣. اليد الممدودة

بعد مرور العاصفة، ربّما في حوالى ٥٠، حاول يهودي من الاسكندرية أن يعبّر في ثقافته اليونانية عن الايمان اليهودي. فتعرّض للخطر الذي تعرّض له أصحاب الترجمة السبعينية. ذلك بأنه، بإعطائه للايمان لغة عالمية، يُخشى أن يكون قد أعطاه أحياناً مضموناً يونانيّاً. هذا السفر يشيد بالحكمة، وهي تزداد تجسيداً فتضم إليها بعض ملامح الكلمة والروح.

الحكمة. شخص يحب البشر: ١ / ١ — ٨.
الخلود: ٢ / ١ — ٣ و٩ و٥ / ١٥ — ١٦.
الحكمة: ٧ / ٢٢ — ٣٠ و٩ / ١ — ١٨ (صلاة للحصول عليها).

الله صديق البشر : ١١ / ٢٢ — ٢٦ و ١٢ / ٢ و ١٦ — ١٩ .

سِفر **باروك**. الموضوع تحت رعاية أمين سرّ إرميا، مؤلّف من أربعة أجزاء من أزمنة مختلفة. من المحتمل أن يكون جمعها قد تمَّ في وقت متأخّر جداً.

باروك. «احتفال بالتوبة»: **١ / ١٥ — ٣٨**.

الحكمة : **٣ / ٩ — ٤ / ٤**.

العصر الروماني (٦٣ ق. م. — ١٣٥ ب. م.)

٦٣ : دخلت رومة الى الشرق الأوسط ، في شخص القائد بمبيوس. هكذا بدأ نفوذ لن ينتهي إلّا باجتياح الفارطيين والعرب في القرن السابع.

فيما يختص بالحقبة الزمنية التي تهمّنا ، سيكون هذا النفوذ مباشراً الى حدّ كبير أو صغير بحسب أقاليم فلسطين وبحسب الأيام.

في ٤٠ ق. م. ، حصل هيرودس من رومة على لقب مَلِك (شرطَ أن يستولي على مملكته !). فملك الى ٤ ق. م. على عهده ، في حوالى ٦ قبل عصرنا ، وُلد يسوع.

وعند وفاته ، قُسّمت مملكته الى ثلاثة أقسام وعُهد بها الى بنيه. مَلَك أرخلاوس على اليهودية والسامرة ، لكنه ما لبث أن أبغضه الناس. فنُفي الى غاليا وحلّ محلّه موظّفون رومانيون ، وهم حكّام أشهرهم بنطيوس بيلاطيوس الذي حكم ما بين ٢٦ و ٣٦.

لم يتحمّل الشعب اليهودي هذا الاستعباد. لكنه كان منقسماً ، وكان الهيروديون والعشّارون من «المتعاونين» ، وكان الصدوقيون حريصين على المحافظة على مكانهم. أمّا الفريسيّون ، فكانوا بوجه عام يعارضون الاحتلال ، وكان الغيورون يحرّضون على العصيان المسلّح. ولقد انفجر هذا العصيان في ٦٦. فأرسل نيرون قائده فسبازيانس. لكنه عُيّن امبراطوراً في ٦٩ ، فترك المكان لابنه طيطس.

وفي ١٠ آب (أوغسطس) ٧٠ ، استولى طيطس على أورشليم.

لكنّ بعض الفرّيسيين استطاعوا أن يهربوا قبل الكارثة وتجمّعوا في جَمْنيا (في منطقة غزّة) ، وأنشأوا فيها مدرسة انطلق منها الدين اليهودي انطلاقة جديدة. أمّا المسيحيون فقد لجأوا الى منطقة بِلّا (عبر الأردن).

وفي ١١٧ ، قُمع عصيان يهودي. فأمر

الامبراطور هَدريانس بإعادة بناء المدينة وبناء معبد لجوبيتر (١٣٠).

وفي ١٣٥، حرَّض سمعان بن كوسيبا الشعب على العصيان، فدُمِّرت أورشليم برمّتها، وحرِّم على اليهود الاقامة فيها. هذه نهاية الشعب اليهودي، في الظاهر، لأنه، بعد أن تشتَّت بين الأمم، حافظ على شعوره بأنه شعب.

المجموعات اليهودية في أيام المسيح

١. **الطبقات الاجتماعية**

«**شعب الأرض**» يدل على عامة اليهود، وكان محتقراً لأنه يجهل الشريعة.

الكتبة أو علماء الشريعة: غالباً ما كانوا من العلمانيين، وكانوا ينصرفون الى درس الكتب المقدسة. أكثرهم من الفريسيين.

الكهنة: طبقة عظماء الكهنة وأرستقراطية حريصة على امتيازاتها. أكثرهم من الصدوقيين، وغير محبوبين من الشعب. أمّا الكهنة واللاويون، وعددهم ١٨٠٠٠، فكانوا قريبين من الشعب.

٢. **الأحزاب الدينية**

الفريسيون هم أتقياء، لكنهم يستندون الى قداستهم أمام الله. انهم متديّنون ويمثّلون الايمان اليهودي الصحيح.

الصدّوقيون هم محافظون، ولا يعترفون إلّا بأسفار الشريعة الخمسة. ولا يؤمنون بالقيامة.

الأسينيّون هم نوع من المتوحّدين يعيشون عيشة جماعية في قمران، على شاطئ البحر الميت، في الصلاة والتأمل في الكتب المقدسة.

الغيورون هم المقاومون.

٣. **مختلفون**

العشارون يجبون الضرائب للامبراطور.

الهيروديون هم أنصار هيرودس انتيباس، يؤيّدون الاحتلال.

ما بين العهد القديم والعهد الجديد

العهد القديم، ثم العهد الجديد... كفانا ذلك تعقيداً. وها نحن أيضاً أمام فاصلٍ بين العهدين، أمام فاصل يولونه اليوم أهمية كبرى!

كُتب السفر الأخير من أسفار العهد القديم: أي سفر الحكمة، في حوالى ٥٠ ق.م.، وكُتب المؤلَّف الأول من مؤلفات العهد الجديد، أي الرسالة الأولى الى أهل تسالونيقي، في ٥١ ب.م.، فهذه مئة سنة ليس لنا منها أي شيء في الكتاب المقدس.

والحال ان هذا القرن هو الذي عاش فيه يسوع وتلقّى تنشئته ولغته ولاهوته وروحانيته.

لم يرد أي شيء من ذلك في الكتاب المقدس، مع ان شيئاً كثيراً من الأدب نشأ في هذه الحقبة الزمنية. كثير من هذه المؤلّفات معروف منذ أمد بعيد، وغيرها عُثِرَ عليه مؤخّراً، كمخطوطات قمران في ١٩٤٧، أو مؤلفات نجع حمادي الغنوصية في مصر في ١٩٤٥. إليك مختلف فئات النصوص التي بين أيدينا.

١. المؤلّفات اليهودية

أكثر هذه المؤلّفات معروف منذ زمن بعيد، وهو يتناول جميع الفنون الأدبية. لكنه تأثّر كله، الى حدّ بعيد أو قريب، بالفن الرؤيوي. منه، على سبيل المثل، أسفار أخنوخ وسفر اليوبيلات ومزامير سليمان وارتفاع موسى ورؤى ايليا وابراهيم وصفنيا...

٢. مخطوطات قمران

عُثر على هذه المؤلّفات في بعض المغاور بالقرب من البحر الميت، ابتداء من ١٩٤٧. وهي تطلعنا على فكر الأسّينيّين، أولئك اليهود الأتقياء الذين انعزلوا في «دير» قمران قبل مجيء يسوع المسيح بمئة

سنة، وأقاموا فيه حتى كارثة السنة ٧٠، عائشين فيه عيشة صلاة وتأمل في الكتب المقدسة.

٣. الأدب الربّاني

التقاليد الربانية. كان الربّانيون يفسّرون الكتب المقدسة، وكان تلاميذهم، بعد أن يصبحوا ربّانيين بدورهم، يبلّغون هذه الشروح ويضيفون إليها شروحهم الخاصة. تمّ تبليغ هذه التقاليد بطريقة شفهية زمناً طويلاً، ثم دُوّنت خطيّاً ما بين القرن الثاني والقرن السابع ب.م.، ويقوم عمل أهل الاختصاص على البحث في هذه النصوص واكتشاف ما قد يعود منها الى زمن المسيح. فمن المفيد، مثلاً، ان يؤرِّخ مثل كهذا: «حيثما اجتمع عدّة أشخاص لدرس الشريعة، كانت «الشكينة» (أو حضور الله المقدس) بينهم» (راجع متى ١٨ / ٢٠).

التراجيم (جمع ترجوم). كانوا يقرأون، في المجمع، الكتاب المقدس بالعبرية. لكن الشعب لم يعد يفهمها. فكانوا يُتبعون هذه القراءة بترجمة تفسيرية بالآرامية. هذه الترجمة هي ما يسمّونه «ترجوم». وهناك عدّة تراجيم معروفة، لكنها لم تُدرس، كما يجب، لأننا كنّا نعدّها عائدة الى زمن متأخّر. أمّا اليوم، فقد اكتشفنا أن عدداً كبيراً منها يعود الى زمن المسيح. وهي تخبرنا كيف كانوا يفهمون الكتب المقدسة. ولعلّ في ذلك فائدة كبرى. إليك مثلاً:

ورد مراراً في العهد الجديد ان يسوع قام «في اليوم الثالث، كما جاء في الكتب». فهل في ذلك مجرد دليل زمني: غداة اليوم الثاني من موته؟ ان عبارة «كما جاء في الكتب» تنبّهنا الى ان المقصود هو شيء آخر وتهدينا الى الطريق. روى هوشع النبي نوعاً من رتبة التوبة يهتف فيها الشعب: «الله عاقَبنا، فهو يشفينا، وفي اليوم الثالث يُنهضنا فنحيا أمامه» (هو ٦ / ٦). المقصود هنا دليل زمني («في وقت قريب»)، والكلام يدور هنا على احياء الشعب. وقد أوضحت الترجمة السبعينية (وهي في بعض وجوهها ترجوم)، وقالت: «وفي اليوم الثالث يقيمنا من الموت». وهناك ترجوم يفيدنا بأنهم كانوا يفسّرون هذا «اليوم الثالث»، في أيام المسيح، بأنه يوم القيامة العامة التي ستتمّ في آخِر الأزمنة: «اليوم الثالث، أي يوم التعزية الذي يعيد فيه الله الأموات الى الحياة...». فـ«اليوم الثالث، كما جاء في الكتب»، ليس هو أولاً دليلاً زمنيّاً، بل لاهوتيّاً: انه يدل على يوم آخِر الأزمنة. فلا عجب أن يكون يسوع قد أنبأ تلاميذه بقيامته «في اليوم الثالث»، وأنهم، في غداة اليوم الثاني من موته، لم ينتظروا شيئاً. وهذا أمر نعدّه هامّاً: ان كان المقصود هو «اليوم الأخير»، فهذا يعني أن «الأزمنة الأخيرة قد تمّت» في قيامة يسوع، كما أعلنه المسيحيون الأولون.

الأمر الذي يُستخلَص من تلك المؤلّفات كلها هو انتظار حاد لآخر الأزمنة، لذلك اليوم الذي سيقيم الله فيه ملكوته على الأرض.

وهذا ما أعلنه رجل في الثلاثينات قائلاً: «لقد اقترب منكم ملكوت الله».

العهد الجديد

شعب الله الجديد

خريف ٣٧ : نجّار مجهول من الناصرة اسمه يسوع — كم كان له من العمر؟ ٣٣ أو ٣٥ عاماً؟ — أخذ يعلن : «لقد أتى ملكوت الله !» .

يصعب علينا أن نتصوَّر أيّاً كان وقْع هذه الكلمات : إن اعلان يسوع عن وصول الملكوت والقبول بأن ينادى به مشيحاً (أو مسيحاً) يعنيان ان آخر الأزمنة قد أتى وأن التاريخ قد بلغ أجله !

هذا ما يفسّر حماس جموع الجليل ، وما يفسّر أيضاً ارتياب رؤساء اليهود أمام مشيح يختلف كل الاختلاف عن المشيح الذي كانوا ينتظرونه . صرَّح تلميذا عمّاوس بكثير من الخيبة : «كنّا نرجو أنه هو الذي سيفتدي اسرائيل» .

وفي آخر الأمر ، غرقت تلك الملحمة الجميلة ، بعد سنتين ، في ظلمات جمعة من السنة ٣٠ ، على صليب في الجلجثة ...

ولكن ، ما إن مضت خمسون يوماً ، حتى قام تلاميذ ذلك المصلوب ينادون في أورشليم ، أمام الشعب الذي تخلّى عنه ، وأمام مجلس اليهود الذي حكم عليه ، أعلنوا ان يسوع حيّ وأنهم اختبروا ذلك وأنه وهب لهم روحه . هتفوا قائلين : «لقد أتت الأزمنة الأخيرة ، لقد أقام الله ملكوته في يسوع . نحن شعب الله الجديد . فتوبوا وانضمّوا إلينا لتنالوا الخلاص» . هكذا بدأت الكنيسة .

فالمؤرّخ يجد نفسه اذاً أمام حدثَين لا بدّ من الاعتراف بأنهما تاريخيَّين : لمَّا كان بنطيوس بيلاطس حاكم اليهودية ، وعظ رجل يسمَّى يسوع فتبعه بعض التلاميذ وأُعدم . وبعد موته ، أعلن هؤلاء التلاميذ أنه حيّ وأنه ابن الله .

لكن ما هو الرابط الذي يجمع بين هذَين الحدَثين؟ هل أخطأ التلاميذ؟ أيجب تصديقهم؟

ننتقل هنا من حقل التاريخ الى حقل الايمان أو اللا ايمان. فالايمان هو الثقة بهؤلاء التلاميذ والاعتراف معهم، في يسوع هذا، بسيد الحياة. السؤال يُطرح علينا ولا نستطيع ألّا نجيب.

ان مَؤلَّفات العهد الجديد تعرض علينا ايمان أولئك التلاميذ. تخبرنا به على أنه «بُشرى» غيَّرت وجه حياتهم. ونحن نعلم بأننا لا نستطيع أن نعتنقها من دون أن يتغيّر وجه حياتنا أيضاً. هذا الايمان هو الذي سنحاول أن نكتشفه من خلال مؤلّفاتهم.

ذلك بأنه يجب علينا أن نتخلّص من فكرة ساذجة تجعلنا نعتقد بأن الأناجيل هي نوع من «التحقيق المباشر» في حياة يسوع، دوّنه التلاميذ خطيّاً بعد قيامته؛ ثم ذهبوا، متأبّطين الأناجيل، يؤسّسون الكنيسة. في الواقع، نحن نعلم بأن الأمور لم تَجرِ على هذا النحو. توفي يسوع في السنة ٣٠ ولم تُدوَّن الأناجيل إلّا بعد ذلك بكثير، ما بين ٧٠ و ٩٥. فبين التاريخَين، تقع حياة الكنيسة القديمة.

هذا يعني ان الكنيسة هي الأولى، وأنها هي التي صاغت الأناجيل. شعرت بأنها شعب الله الجديد، خلقه بكلمته يسوع المسيح، وأحياه بروحه. انها تحيا بالقائم من الموت. وهذه الحياة هي التي شعرت بها طوال خمسين سنة والتي أخذت تستجلبها وتدوّنها خطيّاً. نحن لا ندرك يسوع مباشرة، بل ندرك ايمان الكنيسة، ومن خلاله نكتشف مَن هو يسوع.

جريدة الكنيسة : أعمال الرسل

«فضيحة في أورشليم : بعض الأرامل يُضايَقْن في توزيع المساعدات ! ». «معجزة؟ بطرس يشفي مُقعَداً». «من مراسلينا في المجمع : انتصرت أفكار بولس» ... لو كتب لوقا في أيامنا ، لتصوَّرناه يزيّن بعناوين مثيرة «جريدة الكنيسة» في ما بين الثلاثينات والستينات ، التي حرَّرها لنا : أعمال الرسل.

بهذا الكتاب ، ولا شك ، يجب أن نباشر قراءة العهد الجديد. وضعه لوقا في حوالى السنة ٨٠ ، فرسم فيه لوحة جامعة للسنين الثلاثين الأولى لحياة الكنيسة. وفي هذه الرواية التي تعجّ بالحياة ، نشاهد نشأة جماعات مسيحية مختلفة ، في الأوساط اليهودية كأورشليم ، أو عند الوثنيين ، كأنطاكية أو قورنتس أو فيلبي. ونسير في خُطى بولس عَبرَ رحلاته الرسولية المُتعبة ، وندرك ما هي المشاكل التي واجهتها تلك الكنيسة الفتية وكيف اهتزّت حبّاً لربّها القائم من الموت فابتدعت ، بدافع من الروح ، نمط حياة جديد ، ونرى كيف تكوَّنت الأناجيل يوماً بعد يوم طوال تلك السنين.

ولكن يجب ألّا ننسى أن هذا الكتاب هو ، في الواقع ، المجلّد الثاني لعمل واحد. ذلك بأن لوقا ، خلافاً لما فعل سائر الانجيليّين ، قسّم ذكرياته عن يسوع في مجلَّدَين. في «الانجيل» اهتمّ بـ «زمن يسوع» : المسيح يعلن بشرى الخلاص في أورشليم ، والانجيل يبدأ وينتهي في المدينة المقدسة حيث يُتمّ يسوع سره الفصحي : موت وقيامة. وعندئذ تنتهي للتلاميذ طريقة معيّنة لحضور يسوع : فلن يعودوا يرونه بعينَي الجسد.

أمّا «أعمال الرسل» فانها تفتتح «زمن الكنيسة» وفيه يبقى يسوع حاضراً لتلاميذه بروحه الذي يُنعشهم. ولذلك سُمّي هذا الكتاب «انجيل الروح».

وهناك وهم آخر لا بدّ من تبديده، وهو الاعتقاد بأن في أيدينا «تحقيقاً مباشراً» للأحداث التي جرت. يعرض لوقا لنا في هذا الكتاب رؤيته للأمور، وهي رؤية مؤرّخ ولاهوتي تلميذ لبولس، لكنه يؤلّف انطلاقاً من مصادر نشعر بها.

وثائق...

• «مذكرات» لوقا. نلاحظ ان أعمال الرسل تستعمل تارة ضمير الغائب المذكر، وتارة ضمير المتكلم في الجمع. يجوز لنا أن نرى في الفقرات التي يُستعمل فيها ضمير المتكلم «يوميات شخصية» دوَّنها لوقا في أثناء رحلاته مع بولس. وهي تمكّننا أن نتبعه انطلاقاً من انطاكية (١١ / ٢٨ في بعض المخطوطات فقط). ثم من طرواس الى فيلبي حيث أقام لوقا، ما بين ٥٠ و٥٨، على ما يبدو (١٦ / ١٠ — ٤٠)، ومن فيلبي الى أورشليم حيث أُلقي القبض على بولس (٢٠ / ٥ الى ٢١ / ١٨)، وأخيراً من قيصرية حيث أُلقي بولس في السجن، الى رومة حيث انتظر سنتين قبل أن يُحاكَم (٢٧ — ٢٨).

• «أرشيف» كنيسة انطاكية التي حفظت بداية هذه الكنيسة التي أسَّسها الهلينيّون (أو اليهود الناطقون باليونانية) في أورشليم (٦ / ١ الى ٨ / ٤ و ١١ / ١٩ — ٣٠).

• محضر مجمع أورشليم الذي انعقد في هذه المدينة في حوالى ٥٠ (١٥ / ٣ — ١٣)، ومحضر الجمعية الخاصة التي نظَّمها يعقوب بعد ذلك بقليل (١٥ / ١٣ — ٥٣).

• ذكريات بولس، كرواية دعوته في طريق دمشق (٩ / ١ — ٣٠ و٢٢ / ٤ — ١٦ و ٢٦ / ١٠ — ١٨)، أو رواية رحلته الأولى الى آسية الصغرى بصحبة برنابا (١٣ — ١٤).

• ذكريات فيلبس، أحد الشمامسة السبعة، ولاسيما نشاطه في السامرة (٨ / ٥ — ٤٠ و ٢١ / ٨ — ٩).

• معلومات عن نشاط بطرس في أورشليم (٩ / ٣٢ الى ١١ / ١٨ و ١٢ / ١ — ٢٣)، وعن حياة الجماعة الأولى في أورشليم (١ — ٥).

• وأخيراً مواضيع الخطب التي ألقاها بطرس (٢ / ١٤ — ٣٦ و ٣ / ١٢ — ٢٥ و ٤ / ٨ — ١٢ / و ٥ / ٢٩ — ٣٢ و ١٠ / ٣٤ — ٤٣)، واسطفانس (٧)، وبولس (١٣ / ١٦ — ٤١ و ١٧ / ٢٢ — ٣١ و ٢٠ / ١٨ — ٣٥). لهذه الخطب أهمية كبرى لمعرفة أوضاع ايمان المسيحيين الأولين.

استعمل لوقا وثائق، لكنه أحسن تنظيمها في رؤية شاملة.

رؤية شاملة

انتخب لوقا وقائع تمتاز بها حياة الكنيسة ليبيّن لنا كيف ان الروح القدس مكَّنها من أن تعيش حركة مزدوجة.

منذ البداية، تعرّضت الكنيسة لخطر التركّز على نفسها والانغلاق في تلك العلّية حيث يُخشى أن يؤلّف التلاميذ نوعاً من «رابطة أصدقاء يسوع القُدامى». لكن الروح أخرجهم وما زال يدفعهم الى أبعد، للتبشير علناً في أورشليم، ثم خارج

المدينة، نحو السامرة، ونحو انطاكية، ثم نحو آسية الصغرى واليونان ورومة...

لكن يسوع الذي يبشَّر به ليس هو غير يسوع الذي عاش على طرق فلسطين، فإن زمن الكنيسة مصدره الدائم في زمن يسوع. ولذلك، ما زال الروح يردّ التلاميذ الى شخص يسوع، الى أقواله وأعماله.

وهذه الحركة الثانية تمكّننا أن نفهم كيف وُلدت الأناجيل. سنشدّد على هذا الأمر فيما بعد.

كنيسة من أجل العالم

بدافع من الروح، حمل الرسل البُشرى من أورشليم الى قلب العالم المعروف في ذلك الزمان: الى رومة. لكن هذا الامتداد الجغرافي يثير مشكلة ايمانية خطيرة ويفترضها محلولة: فهل هذه البشرى هي لجميع الناس أم لليهود فقط وللذين يقبلون أولاً أن يصيروا يهوداً؟ فقد سبق ليسوع أن قال: «لا تذهبوا الى الوثنيين...». والحال اننا، في القسم الأول من أعمال الرسل، نرى التلاميذ، بدافع من الروح، يبشرون السامريين (يهود منشقّين) ويعمّدون موظّفاً حبشيّاً (وثنيّاً أصبح يهوديّاً تماماً)، أو قائد مئة رومانيّاً ليس يهوديّاً إلّا في قلبه، ويقبلون وثنيين في الكنيسة، في انطاكية وفي آسية الصغرى.

فهل الرسل بتجاوزهم حرفية أقوال يسوع، يبقون أمناء لروحه؟ هذه هي المشكلة التي نوقشت في «مجمع» أورشليم في حوالى السنتين ٤٩ — ٥٠.

وهذه المشكلة التي انحلّت، على ما يبدو، لا تزال مع ذلك قائمة. فلا بدّ أن نعرف هل الخلاص بيسوع المسيح يفترض أن يقام أولاً بعملٍ ما (العمل بالشريعة اليهودية أو الاهتداء وتغيير نمط الحياة و«استحقاق» الخلاص)؟ أم هل الخلاص مجاني، يُنال عن طريق الايمان بيسوع؟

فبعد أن بُتَّت هذه المسألة في مجمع أورشليم، استطاع بولس، بحرية تامة، أن يحمل البشارة الى جميع الأمم. وفي خاتمة الكتاب، يرينا لوقا بولس سجيناً في رومة، لكنه يعلن البشارة بملء الحرية. واذا بُشّرت رومة، وهي قلب العالم المعروف، فهذا دليل على ان العالم بأسره سيبشَّر يوماً.

كتاب أعمال الرسل ينقسم اذاً الى قسمَين:

- من بداية الكنيسة الى المجمع: ١ / ١ — ١٥ / ٣٥.
  - — جماعة أورشليم: ١ — ٥.
  - — نحو كنيسة منفتحة: الهلّينيون: ٦ — ١٥ / ٣٥.
- بولس يعلن البشرى حتى رومة: ١٥ / ٣٦ — ٢٨ / ٣١.

من اعلان البشارة الى تدوينها في أناجيل

ان الروح القدس دفع التلاميذ الى عُرض البحر، مرسلاً إياهم يبشّرون بيسوع المسيح الى أقاصي المسكونة. لكنه ما زال يعيدهم الى شخص يسوع، مذكّراً إياهم بأقواله وأعماله، «ليُرشدهم الى الحق كلّه». وطوالَ هذا السعي، وُلدت الأناجيل.

سبق لنا أن تخلّينا عن تلك الفكرة الساذجة، القائلة بأن الأناجيل هي «تحقيق مباشَر». انها تكوَّنت في حضن الكنيسة في ثلاث مراحل كبرى.

١. يسوع

من الواضح أن يسوع وأقواله وأعماله، ولا سيّما شخصه، هي التي في أصل نصوصنا. أمّا هو فلم يكتب شيئاً.

تبعه تلاميذه وأصغوا إليه على أنه نبي من الأنبياء، وانطلاقاً من شهادة بطرس في قيصرية، على أنه المشيح الذي كانوا ينتظرون أن يقيم ملكوت الله: ما أشدّ التباسَ ذلك الرجاء الموضوع في مشيح سياسي يعيد السلطة لإسرائيل! لكن الصليب قضى على تلك الأوهام. ففي غداة اليوم الثاني من موت يسوع، صرَّح تلميذا عمّاوس: «كنّا نحن نرجو...».

٢. الرسل في جماعاتهم (مرحلة «تكوين الأناجيل»)

لقد قلب اختبار الفصح كل شيء رأساً على عقب. وفي الفصح، وفي العنصرة، لم يكن لدى التلاميذ أي شيء مخطوط، لكنهم كانوا يملكون بشرى: ان الله أقام يسوع وأفاض روحه، وحانت الأزمنة الأخيرة التي يُفتتح فيها ملكوت الله! هذا ما كانوا يحيون به وما أخذوا يبشرون به.

اذا كانت هذه البشرى كافية في البداية،

فسرعان ما اضطُرّ التلاميذ الى روايتها بالتفصيل، متذكّرين أعمال يسوع وأقواله ومعلّقين عليها.

أمّا الجماعات، من جماعة أورشليم أولاً، الى جماعات السامرة وانطاكية وآسية الصغرى...، فإنها أخذت تنمو فأخذ المهتدون يتساءلون: كيف نحيا في الواقع كل يوم بيسوع القائم من الموت؟ لم يكن للرسل أي كتاب تعليم ديني ولا أي كتاب أخلاقيات. لم يكن لهم سوى الكتب المقدسة وشخص يسوع، كما عرفوه، وكما لم يزل يعيش معهم على وجه خفيّ. بدافع من الروح القدس، أخذوا يلتفتون الى حياة يسوع، ويفسّرونها في ضوئين:

آ) حدث الفصح

شتّان ما بين رواية حياة أحد الناس على مرّ الأيام، وتناول موضوع هذه الحياة بعد أن كشف عن تعدّد وجوهها مصيرٌ فريد! ان القيامة، هذا الـ «نعم»، الذي قاله الله في حياة يسوع ومواقفه، أخذ يكشف الآن للتلاميذ عن هوية يسوع وعن غاية وجوده. في هذا الضوء جدّدوا قراءة حياته.

ب) الكتاب المقدس

كان التلاميذ يهوداً، فما زالوا يتأمّلون في كلمة الله التي كانت تضفي معنى على حياتهم وتجسّد جميع آمالهم وتنبئهم بمجيء ملكوت الله بمشيحه. كانت هذه الكلمة، على وجه مُسبق، «تفسير» كيان ذلك المشيح ورسالته. ولمّا استطاعوا أن يطابقوا بين المشيح والقائم من الموت، اتّضحت الكتب المقدسة ومكّنتهم في الوقت نفسه من تفهّم يسوع.

في هذا الضوء المزدوج جدّد التلاميذ قراءة ذكرياتهم عن يسوع. ولقد جمعوها حول ثلاثة مراكز اهتمام رئيسية:

١. الليترجية

لمّا احتفل يسوع مع التلاميذ بعشائه الأخير، لا شك أنهم لم يفهموا إلّا القليل. أمّا الآن، فإن حركاته التي أخذوا يكرّرونها اتّخذت كل معناها، فرأوا فيها اشارة حقيقية الى موته الذي قرّبه والى قيامته. ولقد ساعدهم العهد القديم على ادراك معنى ذلك، اذ رأوا في يسوع ذلك «العبد المتألّم» الذي تكلّم عليه اشعيا والذي قبل الموت طوعاً لخلاص جميع الناس.

وهكذا تكوّنت، شيئاً فشيئاً، روايات العشاء الأخير، ثم الآلام، وروايات أخرى أيضاً تلقي ضوءاً عليها، كمعجزة تكثير الأرغفة. وكان نور الفصح ينير جميع هذه الروايات، فإنهم كانوا يروون، لا آلام وعذابات أحد الأموات، بل ما عاناه حيّ من الأحياء.

٢. التعليم المسيحي

كان المعمَّدون يتساءلون كثيراً من الأسئلة، منها: هل يجب البقاء على حفظ راحة السبت؟ هل يجوز معاشرة الخاطئين؟ ما هو الموقف من الغنى؟ ما هو جوهر الحياة المسيحية؟ لم يكن للرسل سبيل الى الاجابة عن هذه الأسئلة إلّا بالرجوع الى ما قاله يسوع وما عمله

فتذكروا عندئذ ان يسوع أجرى الأشفية في يوم السبت ، لأن «السبت جُعل للانسان ، لا الانسان للسبت» ، وأنه جلس الى الطعام مع الخاطئين ، وأنه ، في أثناء جلوسه الى الطعام ، لم يردّ تلك التي كانوا يسمّونها «الخاطئة»... تذكّروا الأمثال في أخطار الغنى ، ولم ينسوا ان يسوع نفسه لخّص الشريعة كلها في وصية محبة الله والآخرين...

وهكذا تكوّنت شيئاً فشيئاً روايات عن يسوع وعن تعليمه...

ولكن ، بما ان تلك الروايات كانت أجوبة على أسئلة وليدة ظروف معيَّنة ، اتَّخذت ألواناً متنوّعة : فكان الحدث الواحد يفسَّر تفسيراً يختلف باختلاف الظروف.

٣. التبشير الارسالي

«فمن هو هذا الانسان؟» : هذا هو السؤال الذي كان الرسل يريدون اثارته عند سامعيهم ، من يهود ووثنيين. كانت روايات المعجزات التي أجراها يسوع تقوم بهذا الدور أحسن قيام. لكن هذه الروايات نفسها كانت صالحة أيضاً لتعليم المؤمنين. فتسكين العاصفة كان رواية معجزة تؤدي الى هذا السؤال : «فمن هو هذا الانسان القادر على السيطرة على البحر؟» (مرقس). ولكنها كانت صالحة أيضاً لأن تكون تعليماً للتلاميذ : «ما بالكم قليلي الايمان؟ لماذا تخافون من المصاعب والاضطهادات التي يُخشى أن تُهلك الكنيسة ، بما انكم راكبون على متنها في خُطى يسوع؟» (متى).

وكان الفريسيون من جهة أخرى يهاجمون الشريعة الجديدة. فكان لا بدّ من الدفاع عن النفس. في هذا الاطار الجدلي تكوَّنت روايات المناظرة التي قامت بين يسوع وخصومه.

إليك مثلاً سينمائيّاً يساعدك على أخذ فكرة أوضح عن عمل تكوين الأناجيل هذا مدة نصف قرن. لقد سبق للرسل أن «تأثَّروا» بشخص يسوع ، كما «يتأثَّر» الشريط بالمشهد الذي يصوَّر. ولكن كان لا بدّ أيضاً من أن «يُكشف» هذا الشريط. فكما أن الحمَّام الكيميائي يُظهره في المختبر ، كذلك كانت حياة الجماعات المختلفة ذلك المحيط الملائم الذي جعل وجه يسوع يُظهر ملامحه شيئاً فشيئاً. وهكذا ظهرت ، هنا وهناك ، بحسب الحاجات والظروف ، في أورشليم وفي انطاكية وفي اليونان ، «صُور خاطفة» عن يسوع : روايات الآلام ، أمثال ، معجزات ، ذكريات عن أقواله...

يُصنَع الفِلم من الربط بين تلك «الصور الخاطفة» وتحويلها الى «مقاطع». فتلك الروايات عن يسوع انضمَّ بعضها الى بعض بطبيعة الحال. كان من المفيد للمبشّر أن يكون لديه ، على سبيل المثل ، مجموعة معجزات (في انجيل متى ، عشر معجزات متسلسلة) ، أو أمثال (جمعها مرقس في «يوم الأمثال»). وقد يصلح المكان الجغرافي لأن يكون حفَّازاً : في كفرناحوم ، كانوا يذكرون على وجه أفضل ما قاله وعمله يسوع في تلك المدينة (راجع «يوم كفرناحوم» في انجيل مرقس).

وفي تلك الأثناء ، تكوَّن ، لحاجات الوعظ ، **اطار معيَّن** لرواية حياة يسوع : الاعتماد عن يد يوحنا والخدمة الرسولية في اليهودية ، ثم في الجليل ، وأخيراً في أورشليم بما فيها الآلام (راجع خطبة بطرس في رسل ١٠ / ٣٧ — ٤١).

فكانت هناك «صور خاطفة» عن حياة يسوع، وانضمّ بعضها الى بعض في «مقاطع» فنشأ عنها إطار مثالي فرض نفسه. ولم يبقَ إلّا عملية أخيرة للحصول على فِلْم، وهي «التركيب».

يبدو ان محاولتَي «تركيب» جرَتا في وقتٍ مبكّر، نجد أثرهما في الأناجيل. الأولى استعملها كل من متى ومرقس ولوقا، وأما الثانية فلم يعرفها إلّا متى ولوقا. وهنا نصل الى المرحلة الأخيرة من مراحل تكوين الأناجيل.

٣. الأناجيل الأربعة (مرحلة «تحرير» الأناجيل)

«التركيب» أمر هام في السينما، فهو الذي يقرّب بين الصور الخاطفة والمقاطع فيحمّلها معنى ويجعل من ترابطها فِلماً.

أربعة كتّاب تناولوا تلك المواد، لكنهم ركّبوها «تركيباً» مختلفاً، فألّفوا الأناجيل الأربعة. ذلك بأن دور المحرّرين لم يقتصر على الربط بين الوثائق، بل اكتشف كل منهم في جماعته مظهراً من مظاهر وجه يسوع المسيح، وهذا الوجه هو الذي اجتهد أن يكتشفه لنا. كل شخص بشريّ سرّ من الأسرار، وحين نكون أمام أحد من الناس، نتأثّر بمظهر من مظاهر شخصيّته. فحين نكون في حضرة شخص يسوع...

وعلى هذا النحو قام أربعة «لاهوتيين»، مرقس في حوالى ٧٠، ومتى ولوقا في حوالى ٨٠ ويوحنا في حوالى ٩٥، بكتابة الأناجيل الأربعة.

لكن هذا التكوين استغرق سنين طويلة. في تلك الأثناء، كتب بولس رسائله، ويحسن بنا أن نقرأها قبل أن ندرس الأناجيل.

رسائل بولس

في تلك الليلة من السنة ٣٦ ، ذاع الخبر في شوارع دمشق فنشر الرعب بين المسيحيين : « بولس الطرسوسي على أبوابنا ! جاء ليلتي القبض علينا ! ... » .

مَن هو بولس هذا ، سبب مثل هذا الاضطراب؟ فلنُصْغِ إليه ، حين عرَّف بنفسه للملك أغريبا وليهود أورشليم الذين هَمُّوا برجمه ، ولقائد الألف الروماني الذي ارتعد لأنه كاد أن يجلد مواطناً رومانيّاً : « أنا يهودي من طرسوس ، مواطن مدينة غير مجهولة ، وفريسي درستُ في أورشليم ، فلا لوم عليَّ في نظر شريعة الله . وأنا مواطن روماني أيضاً . غيري أدّى مقداراً كبيراً من المال حتى حصل على هذه الجنسية . أمَّا أنا ففيها وُلدت ... » .

مَن هو بولس؟

وُلد بولس في طرسوس ، ما بين السنة ١ و ١٠ ب . م . إنه ابن مدينة ، سريع الخاطر ، من عائلة يهودية ، وهو مواطن روماني أيضاً ، ويحمل اسمين ، شاول وبولس ، وفريسي متشدّد ، درس في أورشليم ، عند قدمَي جملائيل ، أكبر أساتذة عصره . ولا شك أنه قد درس أيضاً في جامعات طرسوس .

تنقسم ستون سنة عمره (استشهد في رومة في حوالى ٦٧) الى قسمين . مدة ثلاثين سنة ، كان فريسيّاً ، وباسم ايمانه اليهودي اضطهد المسيحيين ، لأنه ظنَّ أنهم يدمّرون الايمان بالاله الأحد ، اذ يساوون بينه وبين انسان يسمَّى يسوع . لكن المسيح « استولى عليه » في طريق دمشق . كان بولس قطعة واحدة : فبعد أن عارض المسيح على الاطلاق ، ها هوذا يكرّس نفسه كلها له .

تنقسم حياته الى « قبل » لقائه بالقائم من الموت والى « بعد » اللقاء ، فيتأثر تفكيره بهذا الأمر تأثيراً بعيداً . وكان لاهوتيّاً ، وهذا من حسن حظ

الكنيسة الفتية ، فإنه سيُغنيها بجميع موارد تفكيره ، وسيوجّه المسيحية توجيهاً نهائيّاً.

بعد قبول دعوته ، عاد الى طرسوس ، وأخذ يبشّر نحو خمس عشرة سنة في مسقط رأسه أولاً ، ثم في انطاكية. وفي ٤٩ — ٥٠ ، أقرَّ مجمع أورشليم خياراته الأساسية. وفي السنين الخمس عشرة التي عاشها بعد ذلك ، واصل عمله الارسالي في آسية الصغرى واليونان وروما وربّما اسبانيا. لكنه امتاز بكثرة رسائله ، وهي تمكّننا من تتبّع تطوّر تفكيره.

رسائل بولس

هي أولى مؤلَّفات العهد الجديد ، فلقد توفي بولس قبل أن يضع أول الانجيليين بشارته.

انها رسائل كُتبت على طريقة ذلك الزمن. تبتدئ بتوجيه : «من بولس (وفلان وفلان) الى الكنيسة التي في قورنتس ، أو فيلبي الخ...». ثم شُكر. أمّا الرسالة نفسها ، فتنقسم عادةً الى قسمين : قسم عقائدي ، يعالج فيه بولس وجهاً من وجوه الايمان رأى أنه أساسي ، أو يميل مراسلوه الى نسيانه ، ومن هنا يستخلص ، في قسم ثانٍ ، النتائج المفيدة للحياة العملية. ويختم ببعض الأخبار الشخصية.

من الراجح أنه لم يكتب رسائله بنفسه ، وان التلميذ الذي يوقّع الى جانبه كان له دور هام في إعدادها.

من خلال رسائله ، يمكننا أن نلاحظ أربع مراحل في تفكيره.

١. الرجاء. الرسالتان الى أهل تسالونيقي

وجّه بولس رسالتَيه الأولَيَين الى مسيحيّي تسالونيقي. تناول فيهما موضوع الايمان المشترك الذي تلقّاه من المسيح والرسل. المسيحي هو انسان دعاه الله الى الدخول في ملكوته ، وهذه الدعوة أدركته حين تقبَّل بايمانٍ كلمة الله ، يسوع المسيح. ومنذ الآن ، أصبح يحيا ، في حياته اليومية ، بيسوع المسيح ، يُنعشه الروح القدس ، لمجد الآب.

الشكر والايمان : ١ تس ١ / ١ — ١٠ و٢ / ١٣ — ١٦ و٣ / ١١ — ١٣ و٢ تس ١ / ٣ — ١١.
خدمة الرسول : ١ تس ٢ / ١ — ١١.
مجيء الرب : ١ تس ٤ / ١٣ — ١٨.
الحياة المسيحية : ٢ تس ٢ / ١٣ — ٣ / ١٥.

في هذه المرحلة الأولى ، يجعل بولس المسيحيين يعيشون في رجاء مجيء يسوع القريب.

٢. نيل الخلاص بيسوع المسيح في الكنيسة

الرسائل الى أهل قورنتس وغلاطية وروما وفيلبي

في مرحلة ثانية ، نشعر بأن هناك سؤالاً يسكن بولس : ما معنى «الخلاص بيسوع المسيح»؟ يرى في الكنيسة أولاً تلك الجماعة التي توحّد الذين أخذ الله يخلّصهم بيسوع المسيح. لكن اللهجة تختلف باختلاف الرسائل.

الرسالة الأولى الى أهل قورنتس

قورنتس: مدينة ضخمة تضم ٦٠٠٠٠٠ ساكن (منهم ٤٠٠٠٠٠ عبد)، ومرفأ كثير التجارة. قدم بولس إليها في ٥١ وعمل في حياكة الخيم، وأعجب بأن كلمة الله أقامت فيها جماعة متحمّسة من أولئك الفقراء. إلّا أن الانسان لا ينتقل، بين ليلة وضحاها، من «السير سيرة أهل قورنتس» (أي سلوك طريق الفجور)، الى الحياة في المسيح. فوجب على بولس، في معاملة أولئك المؤمنين، أن «يبتدع» لأخلاق المسيحية ويكتشف طريقة عملية للعيش عيشة مسيحية.

لمّا كتب هذه الرسالة (في ٥٧)، كان مقيماً في أفسس. كاتبه أهل قورنتس وطرحوا عليه بعض الأسئلة. فاستخبر بولس عن أحوالهم لدى حامل رسائلهم، فعلم بأن ليس كل شيء هناك على ما يرام... فأجاب أحياناً بعنف.

هذه الرسالة مشوِّقة، لأنها لا تزال تنطلق من أحداث واقعية (المسيحيون يتخاصمون. أحدهم يخالط امرأة أبيه. تأتي النساء الى الكنيسة مكشوفات الرأس. يجد بعضهم صعوبة في الايمان بالقيامة...). انطلاقاً من هذه الأحداث، ايّاً كان حجمها، يفكّر بولس ويطلب التفكير، لا على وجه «وَعْظي»، بل باعادة كل شيء الى قلب الايمان: يسوع المسيح.

لا بدّ لنا أحياناً من بذل بعض الجهد للشعور بأننا منادَون، لأن الظروف قد تغيَّرت. ومع ذلك، لا يزال كل شيء حاليّاً الى حدّ بعيد. إليك مثلاً واحداً: تساءل أهل قورنتس هل يجوز لهم في السوق شراء أي لحوم كانت؟ ذلك بأن كثيراً من هذه اللحوم هي من «فضلات» المعابد، وسبق أن قُربت ذبيحةً للأوثان (١ قور ٨ — ١٠). مشكلة بعيدة؟ لا بل مشكلة حالية جداً، لأنه تعني أن نتساءل هل علينا، لكي نكون مسيحيين، أن نعيش في مكان معزول وأن يكون لنا ملحمة مسيحية ونقابة مسيحية ومدرسة مسيحية؟. انطلق بولس من وقائع عملية خاصّة بزمنه، فعلينا نحن أيضاً أن نبحث عن الوقائع العملية الخاصة بزمننا والتي تقابلها.

وفي هذه الرسالة أيضاً وردت أقدم رواية للعشاء الأخير (١١ / ١٧ — ٣٣).

المسيح حكمة الله: ١ / ١٠ — ٣ / ٤.
خدمة الرسول: ٣ / ٥ — ٢٣.
المعنى المسيحي لتاريخ اسرائيل: ١٠ / ١ — ١٣.
نشيد المحبة: ١٣.

الرسالة الثانية الى أهل قورنتس

قد تكون مؤلَّفة من أكثر من رسالة لبولس، وهي تتضمَّن فقرات رهيبة يدافع فيها بولس عن نفسه لأنهم تهجّموا على سلطته، ومن ورائها على الايمان الصحيح.

معظمها يعالج موضوع الخدمة الرسولية، كما يعيشها بولس (١ / ١١ — ٧ / ١٦)، وهو يشعر بما فيها من مسؤولية رهيبة: لأنه يعرض كلمة الله، فهو عالم بأنه يرغم سامعيه على الاختيار، مع المسيح أو عليه (٢ / ١٤ — ٣ / ٤). لا تخفى عليه

عظمة ذلك الاختيار. اذا تقبّل الانسان المسيح، تحوَّل بمجد الله الذي أشرق على وجه يسوع والذي ينيره الآن لكي يُنير اخوته (٣ / ٥ — ٤ / ٦). لكن الرسول يشعر بضعفه الشديد: في نظر المسيحي، ولاسيما في نظر الرسول الذي يلده للحياة، كلُّ يوم جمعة عظيمة، وكلُّ يوم فصح (٤ / ٧ — ٥ / ١٠). ويعلم الرسول بأنه سفير للمسيح، مؤتمن على خدمة المصالحة (٥ / ١١ — ٦ / ١٠).

خدمة الرسول: ١ / ١ — ١١ و ٤.
تحوّل المسيحي: ٣ / ١٦ — ٤ / ٦.

الرسالة الى أهل غلاطية

أولئك الغلاطيون المجانين هم متحمّسون، محبّون للمشاجرة، قليلو الانضباط، جذّابون ومغرمون بالحرية.

تقبَّلوا كلمة الله بالفرح وكرّسوا أنفسهم للمسيح. ثم مرَّ بهم وُعّاظ شيع يهودية، فتبعوهم أيضاً. وأخذوا، هم الوثنيون سابقاً، «يتهوَّدون» ويضعون أنفسهم تحت نير الشريعة اليهودية. لا يرون في ذلك ضرراً كبيراً، لكن بولس يشعر بالخطر. ان وجبت اضافة شيء (الممارسات اليهودية هنا) الى الايمان المسيحي، فهذا ما يدل على أن الايمان بيسوع لا يكفي للخلاص.

شنَّ بولس هجوماً مضاداً وفعل ذلك بحدّة، مستخدماً جميع موارده: لاهوته اليهودي وتضلّعه من الكتب المقدسة، ولاسيّما قلبه: «تذكّروا ما صرتم عليه باعتمادكم في يسوع المسيح!». وان استثنينا بعض فقرات فيها شيء من التعقيد، فرسالته لا تزال تنادينا: «هل أنتم مسيحيون؟ هل أنتم، في حياتكم كلها، ما صرتم عليه في اعتمادكم؟».

بعد مدخل حاد، يدافع بولس، في ثلاث مراحل، عن البشارة التي أعلنها:

من أين تأتي بشارته؟ (١ / ١١ — ٢ / ٢١) تسلّمها مباشرةً من المسيح على طريق دمشق.

ماذا تتضمّن بشارته؟ (٣ — ٤). عاد الى تاريخ شعب الله، فبيَّن ان الشريعة حارس يرشدنا الى المسيح.

الى أين تقود بشارته؟ (٥ — ٦)، الى الحرية! لم يعد للمسيحي من وصايا، ولا يمكن أن نعود ونضع أنفسنا تحت نير أية شريعة كانت. لم يبق إلّا تلك الشريعة الباطنية التي في قلب كل مسيحي والتي تسمّى الروح القدس. لم يعد هناك من شريعة... شرط أن ننقاد بالروح. وما دام الانسان خاطئاً، فهو في حاجة الى تلك الحواجز. «أنتم، في المسيح، خليقة جديدة، فعيشوا عيشة الناس الأحرار!».

دعوة بولس: ١ / ١٥ — ١٦.
المسيحي انسان حرّ في الروح: ٥.

الرسالة الى الرومانيين

ما قاله بولس بحدة لأهل غلاطية، تناوله في عرض موسَّع، حين كتب الى أهل رومة في ٥٨.

في القسم العقائدي (١ — ١١)، عالج بولس الفكرة نفسها على أربعة وجوه مختلفة.

بصفته رجل قانون، حرَّر اثبات حالة: جميع

الناس، من وثنيين ويهود، خاطئون، جميعهم ينالون الخلاص بيسوع المسيح (١/ ٨ — ٥/ ١١).

بصفته رجل ايمان، فكَّر انطلاقاً من المعمودية: البشرية بأسرها متضامنة في آدم (رمز الانسان)، وهي تعيش تحت سلطان الخطيئة والموت. وأمَّا في يسوع آدم الجديد، فإنها تنال الخلاص بقدر ما تتّحد به بالايمان والمعمودية (٥/ ١٢ — ٦/ ٢٣).

بصفته خبيراً بصيراً في قلب الانسان، وصف الانسان المنقسم على نفسه في باطنه: «الخير الذي أريده لا أعمله، والشرّ الذي لا أريده أعمله...». لكن الروح يعيد إليه وحدته ويمكّنه من تسمية الله «بابا!»، ومن الاستسلام لمحبة يسوع المسيح، ومن العيش بالمشاركة مع سائر الناس والكون (٧/ ١ — ٨/ ٣٩).

وبصفته مؤرّخاً للتدبير الالهي، جدَّد قراءة تاريخ اسرائيل، فوصف شقاء اسرائيل الذي رفض المسيح، وأنبأ بخلاصه يوم يعترف به الشعب بمجمله (٩ — ١١).

وبذلك تمكّن بولس، في قسم ثانٍ، أن يستخلص النتائج: عيشوا عيشة أناس نالوا الخلاص، قرّبوا حياتكم كلها وشخصكم تقدمةً لله.

ايمان ابراهيم: ٤.
جميع الناس ينالون الخلاص في يسوع: ٥/ ١٢ — ٢١ و٨/ ٢٨ — ٣٠.
المعمودية: ٦/ ١ — ١١.
الانسان المنقسم على نفسه: ٧/ ١٤ — ٢٥
الانسان الموحَّد في الروح: ٨/ ١ — ١٧.
الخليقة مرتبطة بمصير الانسان: ٨/ ١٨ — ٢٥.
نشيد في محبة الله: ٨/ ٣١ — ٣٩.
الحياة المسيحية: ١٢/ ١ — ٢.

الرسالة الى أهل فيلبي

رسالة كُتبت من دون سبب (لا أزمة في فيلبي ولا بدعة)، بل لمجرّد ان بولس كان سجيناً فكان مأخوذاً بفرح مشاركته في آلام المسيح، لمجرّد ان بولس كان يحبّ أهل فيلبي حبّاً كله حنان. في هذه الرسالة، يطلق بولس العنان لقلبه، كما يفعل الناس بين الأصدقاء، وبهذه الرسالة، ولا شك، يجب أن نبدأ، ان أردنا التعرّف الى بولس.

كان سجيناً (في أفسس، على ما يبدو، في حوالى ٥٦ — ٥٧). كان يجهل ما سيكون مصيره، لكنه سعيد لأن ذلك سيؤول الى نجاح البشارة. وكان فرحاً بوجه خاص لأنه يختبر اختباراً يزيده اتحاداً بربه يسوع، الذي «استولى عليه» في طريق دمشق، والذي يُشيد به نشيد قديم ربّاً (يستشهد به في ٢/ ٦ — ١١).

ليس في الرسالة تصميم واضح، وهذا شأننا حين نحرّر رسالة (ما لم تكن هذه الرسالة مؤلّفة من ثلاث بطاقات مختلفة جمعها أهل فيلبي فيما بعد؟). في الفصل الثالث، تحذير من مروّجي التعاليم الكاذبة. وليس عدا ذلك سوى دعوة الى الفرح والى العيش في العالم شهوداً لهذا الفرح.

نشيد للمسيح: ٢/ ٦ — ١١.
محبتنا للمسيح: ٣.

٣. يسوع المسيح ربّ العالم والتاريخ

الرسائل الى أهل قولوسي وأفسس والى فيلمون

أربع سنوات فقط تفصل الرسائل التي سنقرأها عن الرسائل السابقة. أربع سنوات وقت قصير، ولكن أربع سنوات سجن (اثنتان في قيصرية واثنتان في رومة)، هي مدة طويلة في حياة الانسان! هذا المتّسع من الوقت حمله على التفكير، علماً بأن فكر الانسان، اذا ما أُلزم الصمت، أمكنته العودة الى منبع نفسه ليكتشف فيه النقطة الوحيدة التي توحّده.

في المرحلة السابقة، فكّر بولس في الخلاص، لكنه بقي على مستوى الكنيسة، على مستوى جماعة الذين ينعم الله عليهم بالخلاص. هذا أمر جوهري، ولن ينكره بولس أبداً، ولكنه كان قصير النفس. أمّا اليوم، فقد تمكّن، بفضل سنواته في السجن، وبفضل تعرّض أهل قولوسي لخطر البدعة، من الاعتراف للمسيح بمكانته الصحيحة.

الرسالة الى أهل قولوسي

كتب بولس إليهم من رومة في ٦٣. تأثّر أهل قولوسي ببعض أفكار المتهوّدين، فخشي بولس أن يجعلوا من المسيح حلقة بين الله والناس، كغيره من الحلقات: الملائكة والقوات السماوية والقوات الخفية.

تُلخّص ذروة فكر بولس في النشيد للمسيح الكوني (١ / ١٥ — ٢٠). فبكلمات موجزة، تمكّن بولس، بفضل كل ما علّمته الكتب المقدسة عن حكمة الله، أن يحدّد وضع المسيح من أبيه (انه الابن الذي حلّ فيه ملء الألوهة)، ومن العالم: هذا الرجل هو الذي به ومن أجله صُنع كل شيء! وبذلك يكشف لنا بولس معنى حياتنا البشرية: ببنائنا ملكوت الأرض، نبني ملكوت الله أيضاً، لأنه ما من شيء يخفى عن نفوذ المسيح.

نشيد للمسيح: ١ / ١٥ — ٢٠.
الحياة المسيحية: ٣ / ١ — ٤.

ما يلقيه بولس كنهر من النور، ستتناوله الرسالة الى أهل أفسس على وجه أوسع.

الرسالة الى أهل أفسس

تظهر هذه الرسالة الجماعية الى كنائس آسية الصغرى بمظهر ملخّص متكامل لفكر بولس. يستهلّها بنشيد مهيب يشيد بالتدبير الالهي: توحيد البشرية كلها في شعب واحد يكوّن جسد المسيح. البشرية والمسيح كائن واحد، لكنها تحافظ على شخصيتها، لأنها عروس المسيح أيضاً، تلك الحبيبة التي اقتناها بثمن دمه. منذ الآن تصالح العالم مع الله، وتصالح الناس بعضهم مع بعض.

التدبير الالهي، الكنيسة: ١.
المسيح سلامنا: ٢ / ١١ — ٢٢.
الحياة الجديدة في المسيح: ٤ / ١٧ — ٥ / ٢٠.
الزواج: ٥ / ٢١ — ٧٣.

٤. «احفظ الوديعة»

الرسائل الى طيموتاوس وطيطس

سواءٌ أكانت هذه الرسائل من قلم بولس أم

كانت وصيته الروحية دوَّنها أحد تلاميذه. الأمر لا يهمّ. فهي توصياته الأخيرة لرعاة الكنيسة وتدل على اهتمامه في نهاية حياته: لا بدّ من المحافظة على سلامة الايمان بيسوع المسيح. ذلك الايمان الذي سلّمه الرسل.

في هذه الرسائل شيء من تنظيم الخدمات في الكنيسة. وهي تمكّننا، بوجه خاص، أن نشارك في تسبيح الكنيسة القديمة، بفضل مقتطفات الأناشيد التي تستشهد بها.

الأناشيد: ١ طيم ٢ / ٥ — ٦ و٣ / ١٦ و٦ / ١٥ — ١٦ و٢ طيم ٢ / ٨ — ١٣.

الرسالة الى العبرانيين

انها بالأحرى «عظة» أكثر ممَّا هي «رسالة»! لا شك أنها عظة أرسلها أحد تلاميذ بولس، في حوالى السنة ٢٧٠ الى مسيحيين وقعوا في حيرة. أولئك اليهود سابقاً انضمّوا الى المسيح بحمية، لكنهم أخذوا يخفّفون من حماسهم ويشتاقون الى ما في العبادة اليهودية من احتفالات رائعة. انهم مسيحيون أصيلون تحمّلوا العذاب بسبب ايمانهم، لكنهم يجابهون اليوم مصاعب جديدة. والكاتب يوبّخهم قائلاً: «تعانون من الطعام الذي تتناولونه. فقدتم كل حيلة بسبب الظروف الحالية والمصاعب؟ اذاً، كفاكم اللبن والحليب طعاماً، ولا بدّ لكم من التعمّق في ايمانكم. لنجعلْ نصب عيوننا رأس ايماننا، المسيح، عظيم كهنتنا».

هذه الرسالة لا تخلو من الصعوبة لأكثر من سبب. كان بولس يفصل بين التفكير العقائدي والنتائج العملية. أمَّا كاتب هذه الرسالة، فإنه يفضّل الخلط بينهما خلطاً متوافقاً، لاسيّما وأنه ينطلق دائماً من مثل في متناول قرَّائه: احتفالات «يوم التكفير». في هذا اليوم فقط، كان يجوز لعظيم الكهنة أن يدخل الى قدس الأقداس، حيث كان الله حاضراً. وكان يدخل إليه بالدم لنيل غفران الخطايا.

في نظر الكاتب، هذا مجرّد صورة. فلقد وجب، للدخول بحرية أمام الله، أن يمثل المسيح، عظيم الكهنة، بدمه، أي بحياته المقرَّبة ذبيحة. كان على الكاهن اليهودي أن يكرّر الحفلة كل سنة، أمَّا المسيح فإنه دخل مرَّة واحدة الى عند الله وفتح لنا سبيل الدخول على وجه نهائي. فعلينا أن نجعله نصب عيوننا وأن نسير، كما سار العبرانيون الى أرض الميعاد، أن نسير في الايمان والرجاء وألَّا تخور عزائمنا.

انسانية المسيح: ٥ / ١ — ١٠.
يسوع الكاهن الأوحد: ٧ / ٢٠ — ٢٨.
العهد الجديد في المسيح: ٨ / ٦ — ٩ / ٢٨.
الايمان: ١١ / ١ — ١٢ / ٣.

رسائل أخرى

لم ينفرد بولس في الكتابة الى مسيحيين. فالعهد الجديد حفظ لنا رسائل أخرى.

يعقوب

في حوالى ٤٩ أو ٦٢، ذكَّر يعقوب بشدّة

(أيكون «أخا الرب» ، اسقف أورشليم الذي رُجم في ٦٢؟) أنه يستحيل العمل لله وللمال. قال: «أنتم تؤمنون، فلا بدّ من رؤية ايمانكم! أروني الأعمال التي يُنتجها ايمانكم، ابتداءً من احترامكم ومحبتكم للمحرومين. وإلّا كان ايمانكم غير صحيح ...».

الأغنياء والاحترام الواجب للفقير: ٢ / ١ — ١٣ و٥ / ١ — ٦.
الايمان: ٢ / ١٤ — ٢٦.

رسالة بطرس الأولى

استُشهد بطرس في رومة في ٦٤. ربّما كُتبت هذه الرسالة قبيل استشهاده. انها نوع من العظة في المعمودية. يستند الكاتب الى نصوص الكتاب المقدس الكبرى التي ساعدت المسيحيين على الكشف قليلاً عن سر المسيح: العبد المتألم الذي يقرّب نفسه طوعاً لخلاص جميع الناس، والحجر الذي رذله البنّاؤون والذي جعل الله منه حجر الزاوية (صورة لموت يسوع الذي رذله شعبه، ولقيامته التي جعله الله بها ربّاً). ويستشهد بطرس أيضاً بأناشيد أخرى كانت تُستعمل، وبقانون ايمان قديم.

وفي قسم ثانٍ، يستخلص نتائج عملية: كيف يجب أن يعيش المسيحي في وسط العالم؟ ويُتحفنا بقاعدة جدال مع غير المؤمنين: «أحبّوا المسيح في قلوبكم حبَّكم للرب، وكونوا مستعدّين لأن تردّوا على مَن يطلب منكم دليل ما أنتم عليه من الرجاء، ولكن ليكن ذلك بوداعة ووقار» (٣ / ١٥).

أناشيد قديمة: ١ / ٣ — ٥ و٢ / ٢٢ — ٢٥ و٣ / ١٨ — ٢٢.
دعوة الى القداسة: ١ / ١٣ — ٢١.
كهنوت المعمَّدين: ٢ / ٤ — ١٠
الشهادة للايمان: ٣ / ١٥ — ١٦.

يهوذا

في حوالى ٧٠ — ٨٠، كتب يهوذا هذه الرسالة التي لا تخلو من الغرابة (يستعمل فيها عدة نصوص يهودية معاصرة) لتحذير المسيحيين من اللاهوتيين الكاذبين.

رسالة بطرس الثانية

هذه الرسالة، التي ربّما كُتبت في مطلع القرن الثاني، والتي وُضعت تحت رعاية بطرس، تدعو المسيحيين الى البقاء أمناء لدعوتهم، بالرغم من المبشّرين الكاذبين، وان أبطأ المسيح في عودته.

تجلّي المسيح: ١ / ١٦ — ١٨.
الكتب المقدسة والهام الروح: ١ / ٢٠ — ٢١.

الأناجيل

ليس وارداً أن نقدّم هنا عرضاً مفصّلاً للأناجيل الأربعة. يجد القارئ ذلك في كتب أخرى. بل نكتفي بتحديد ظروفها.

مرقس

من الراجح ان هذا الكاتب هو الشاب يوحنا مرقس الذي ورد ذكره في أعمال الرسل (١٢ / ١٢ و١٣ / ٣ — ١٣ و١٥ / ٣٦ — ٤٠)، وفي احدى رسائل بولس (قول ٤ / ١٠)، وفي رسالة بطرس الأولى (١ بط ٥ / ١٣). لا شك أنه دوَّن، في حوالى ٧٠، تبشير بطرس في رومة.

بيَّن أحد المفسّرين ان مرقس لاهوتي أراد الكشف عن المأساة التي تجري. منذ السطر الأول، يصرّح مرقس بايمانه: يسوع هو المسيح، ابن الله (١ / ١). لكن يسوع سيرفض، فيما بعد، أن يقول مَن هو، لأن هذه الألقاب كانت تتضمّن التباساً وتحمل كثيراً من الآمال السياسية والقومية. ولن يقول يسوع بوضوح إنه المسيح إلّا في ساعة الحكم عليه بالموت، وسيُعلن قائد المئة الروماني الوثني عند قدم الصليب: «كان هذا الرجل ابن الله».

وفي ذلك تكمن المأساة: يسوع هو المشيح، ولكن لا بحسب الفكرة التي كانوا يكوّنونها عنه. فكان لا بدّ من أن يموت أحد: فإمّا أن تموت «أورشليم»، رمز الرؤساء (وكل واحد منا) المنغلقين على تصوّرهم، عن الفكرة التي كوَّنتها عن المشيح وتقبلها، كما يريد يسوع أن تكون، أو أن ترفض وتحكم على يسوع بالموت.

وهذه المأساة تجري بين أشخاص: بين يسوع والجمع الذي سيتخلّى عنه، وبين يسوع وخصومه الذين سيحكمون عليه. وأخيراً — وقد يكون هذا الأفجع — بين يسوع وتلاميذه الذين يتبعونه دون

أن يفهموا سرّه ، والذين سيتركونه وحده يواجه الموت .

ان الإنباء بالقيامة يتّخذ في انجيل مرقس وجهاً خاصاً : لم يكن فيه أصلاً رواية قيامة ، بل يكتفي الملاك بإرسال التلاميذ قائلاً : « لقد قام . اذهبوا الى الجليل ، وهناك ترونه » . فالتلاميذ — الكنيسة — يُرسلون ، حتى آخِرِ الأزمنة ، الى « جليل الوثنيين » ، الى جميع الناس ، ولن « يروا » القائم من الموت إلّا في نهاية التاريخ .

متى

من الراجح ان متى كتب في سورية ، في حوالى الثمانينات ، لمسيحيين من أصل يهودي . وهو يلخّص جوهر رسالته في الآيات الأخيرة من انجيله ، حيث يوفد الرب الممجَّد تلاميذه الى الرسالة (٢٨ / ١٦ — ٢٠) . تبدو الكنيسة في انجيله جماعةً محكمَة البنية ، لها حياة أسرارية وطقسية منظمة ، وتعليم يجب المحافظة عليه وأخلاقية يجب العمل بها .

وهذه الكنيسة ، التي تشعر بأنها اسرائيل الجديد ، تعلم بأنها غنية ، منذ نشأتها ، بألفَي سنة تقليد ، هو تقليد العهد القديم . لكنها كنيسة تنفتح على العالم ، فعليها أن تطهَّر دائماً وتمارس الرحمة والغفران وتصبح قديسة ، كما ان الرب هو قدوس . وكل ذلك للذهاب الى الوثنيين وللكشف لهم عن الوجه الصحيح ليسوع المسيح .

متى حريص على أن « يفهم » التلاميذ ما يؤمنون به ، فمن هنا تلك الخطب الكبرى الخمس والإكثار من أقوال يسوع ، موسى الجديد الذي يعطي كنيسته شريعته الجديدة .

رسالة هذه الكنيسة واسعة . وأمانها يكمن في ايمانها بالـ « عمانوئيل » ، بيسوع الممجَّد ، بـ « الله معنا » ، حتى آخِرِ الأزمنة .

لوقا

سبق أن تعرَّفنا الى لوقا ، حين قرأنا أعمال الرسل ، المجلّد الثاني من عمله .

كان يونانيّاً ويرجَّح أنه انطاكي الأصل .

كتب ، في حوالى ٨٠ ، لمسيحيين اهتدوا مثله من الوثنية . لا تشعر جماعاته ، كما هي حال جماعة متى ، بأنها مرتبطة بتقليد يهودي عريق ، بل تحب أن ترى وجه شبه بين يسوع وايليا : نبيّاً من نار ، لا ينقطع عن الصلاة في حضرة الآب ، مليئاً بالروح ومستقياً منه حرية تامة نحو كل مؤسسة .

لوقا حريص على أن يفهم المسيحيون كلمة الله ، وأشد حرصاً على أن يعملوا بها . بذلك يكونون أعضاء أسرة يسوع .

سُمّي انجيله انجيل الرحمة . ذلك بأن فيه يظهر ، أكثر ممّا يظهر في سائر الأناجيل ، حنان الله العجيب للفقراء والصغار والخاطئين ، فضلاً عن ان أمثال الرحمة (الخروف الضالّ والدرهم المفقود والابن الضالّ) تدل على روح الحنان .

وفي « روايات الطفولة » ، التي هي في الواقع تفكير لاهوتي ، كما هي عند متى ، يصوّر مريم بصورة « بنت صهيون » التي أنبأ بها صفنيا ، بصورة الكنيسة .

يوحنا

لا شك ان الكاتب هو ذلك «التلميذ الذي أحبّه يسوع» ، لكن تعليمه صاغه أحد تلاميذه ، في حوالى ٩٥ — ١٠٠ .

قسمان كبيران في انجيله : «كتاب الآيات» (١ — ١٢) حيث يعيش يسوع ويكشف مسبقاً عمّا سيحقّقه في سرّه الفصحي ، و «الساعة» (١٣ — ٢٠) حيث يعيش هذا السرّ.

لم يرد أن يكثر من أعمال يسوع وأقواله ، بل فضّل أن يختار منها عدداً قليلاً أبرزه ابرازاً رائعاً .

يسوع هو كلمة الآب الأزلي ، هو الكلمة الذي جاء وسكن بين البشر ، وبعد أن «جمّع أبناء الله الذين شتّتهم الخطيئة» ، عاد فصعد الى الآب ، ذاهباً بهم في ارتفاعه . المقدّمة (١ / ١ — ١٨) ، و «الصلاة الكهنوتية» (١٧) تلخّصان هذه الحركة .

انجيله بسيط ، مكتوب بالكلمات التي تستعمل كل يوم ، شديد التوحيد حول المواضيع الكبرى التي تهمّنا ، كالحياة والموت والحب والحرية والخبز ... وهو في الوقت نفسه عميق جداً وعسير ، لأن يوحنا يرى ، في كل حدث من أحداث حياة يسوع ، ملخّص حياته كلها وتعليمه . فصعوده على الصليب مثلاً هو في الوقت نفسه صعوده الى الآب .

رسائل يوحنا

ختم يوحنا انجيله بهذه الكلمات : «وإنّما كُتبت هذه لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله ، ولتكون لكم ، اذا آمنتم ، الحياة باسمه» (يو ٢٠ / ٣١) . وهذه الرسائل ، ولاسيما الأولى ، هي دعوة الى الاختبار المسيحي : «كتبت إليكم بهذا لتعلموا أن الحياة الأبدية لكم ، أنتم الذين يؤمنون باسم ابن الله» (١ يو ٥ / ١٣) . والاختبار الذي نختبره في المشاركة مع الله هو أكبر «دليل» على ان يسوع هو ابن الله وأفضل تحذير من البِدَع .

هناك موضوع واحد ، وهو ان الله أحبنا أولاً . والروح لا يزال يؤكّد على ذلك في قلوبنا . ونحن نعلم بأننا نشارك الله ، لأننا نحب اخوتنا .

كيف نقرأ الأناجيل؟

لنتذكّر الطريق الذي قطعناه .

في نقطة انطلاق نصوص الأناجيل ، وحدات صغيرة ، تلك الروايات عن يسوع ، التي نشأت الواحدة مستقلة عن الأخرى ، في جماعات مختلفة ، للجواب عن أسئلة المسيحيين.

أربعة محرِّرين جمعوها في أحد الأيام لينظموها في أناجيل مختلفة ، يكشف كل منها منظراً من مناظر وجه يسوع .

فأمامنا طريقتان لقراءة الأناجيل :

١ . يمكن قراءتها قطعاً صغيرة ، مع الاهتمام برواية أو معجزة أو خطبة معيّنة . وبما ان هذه النصوص وُلدت للجواب ، فمن المفيد أن يتساءل

الانسان ما هو السؤال الذي طرحه مسيحيو ذلك الزمن على أنفسهم وما هو السؤال الذي يطرحه اليوم على نفسه؟

حين يرد نص من النصوص في انجيلَين أو ثلاثة، يمكن المقارنة بينها، لا لجمعها، بل لإحسان فهمها بفضل الفوارق الصغيرة التي تُلاحظ عندئذ. لنعدْ الى مثل تسكين العاصفة (متى ٨ / ١٨ — ٢٥ ومر ٤ / ٣٦ — ٤١ ولو ٢٣ — ٢٥).
مع مرقس، نعود فنطرح هذا السؤال: «مَن هو هذا الرجل في نظري؟» فنوقظ ايماننا بالتفكير في قدرة يسوع، تلك التي أظهرها بتسكين العاصفة، وتلك التي نكتشفها اليوم تعمل في العالم. ومع متى، نتساءل بوجه خاص: بما اننا راكبون مع مسيحيين آخرين على متن الكنيسة نفسها، هل لنا من الايمان بيسوع القائم من الموت ما يكفينا لكي يتساءل الناس الذين نعيش معهم: «فمن هو هذا الرجل الذي يحفظ كنيسته بالرغم من كل العقبات؟».

٢. يمكن أيضاً قراءة الأناجيل، مع الاهتمام بنظرة اجمالية على كل منها، والسعي لاكتشاف وجه يسوع، كما لمحته جماعات مختلفة.

ومن المقابلة بين تلك الصور المختلفة (لا من ازالتها) يظهر لنا وجه القائم من الموت. سعى بعض الناس في الماضي الى إخراج الأناجيل الأربعة في انجيل واحد، أي الى جمع الأناجيل الأربعة في رواية واحدة. حين نكون أمام أربعة فسيفساء تمثّل كلٌّ منها على طريقتها المشهد نفسه، لا يخطر ببالنا أن نقول: «هذه الفسيفساءات رائعة فسأدمّرها الى كومة كبيرة من الحصى، وبها أضع فسيفساء واحدة تكون فيها جميع التفاصيل...». فلماذا نصنع ذلك بأناجيلنا؟

واذا أكثرنا من قراءة الأناجيل، لا نلبث أن نشعر بأننا نرتاح لهذا الانجيل أكثر ممَّا نرتاح لذاك. وهذا أمر طبيعي، لأن كلاًّ منّا يتأثّر، وكثيراً ما يتأثّر من دون أن يشعر، بمنظر من مناظر وجه يسوع. هذا وان تفضيل لوقا أو متى يكشف لنا ما هو هذا المنظر.
ولكن في ذلك أيضاً دعوةً الى قراءة سائر الأناجيل. فإذا شعرت بأنّي مرتاح الى يسوع لوقا، ومتأهّب لإلهامات الروح، وحرّ أمام المؤسسات... وجب عليّ أن أقرأ متى، فهو يذكّرني بأن يسوع هو سيّد الجماعة، يعلّمها وينظّمها برسله...
قد يتساءل معلّم تعليم مسيحي أو محيي احتفالات دينية، أي انجيل يقدّم لمجموعته، أو أي وجه من وجوه يسوع أصلح لشخص معيَّن أو لسِنٍّ معيَّن؟ يمكنني الآن أن أقول ما أحاول أن أعمله.

مرقس: ربَّما هو الذي يجب عرضه على شخص غير مؤمن، لأن مرقس يريد أن يضع على لساننا هذا السؤال: «مَن هو هذا الانسان؟»، وأن يلحّ علينا بالجواب، مع قائد المئة الروماني: «انه ابن الله».
الشبان يرتاحون اليه، لأنه حيّ وواقعيّ، والخطب فيه قليلة.
ومن شأنه أيضاً أن يساعد المسيحي المنغلق على تصوّراته على التساؤل: ألست أسير في طريق الانغلاق في «أورشليمي» وأمسي عاجزاً عن معرفة

يسوع الذي يظهر لي في وجوه لا تزال توقعني في حيرة؟

كل مسؤول في كنيسته يسمع فيه دعوة لا تخلو من المتطلّبات : يُختار التلميذ ليكون مع يسوع ، ويسوع يجعله في خدمة الجمع . وكل ما بقي ، راحته وهدوءه والطعام ، يأتي بعد هذه الخدمة .

لوقا . المسيحيون الذين لا يرتاحون الى المؤسسة يرتاحون الى لوقا . لكنهم سيكتشفون ما أرهب ما يقتضيه يسوع : يجب عليهم أن يزهدوا في كل شيء لكي يسيروا في خطاه ، وأن يمرّوا بالصليب كل يوم . . .

لا شك ان غير المؤمنين سيتأثرون بوجهه « الاجتماعي » ورفضه للغنى وحبه الصحيح للفقراء والصغار .

ولكن المسيحي ، ولا شك ، هو الذي سيتأثر على وجه خاص بـ « انسانية الله » في يسوع ، وبحنانه نحو الخاطئين (ومن هو غير خاطئ؟) .

والذين وقفوا حياتهم كلها لخدمة المسيح سيجدّدون كل يوم تلك الدعوة الى الصعود ، في خطاه ، الى سرّ موته ومجده « بدون النظر الى الوراء » ، وسيجدون في مريم أمَّ الله في الحقيقة ، لأنها أصغت الى كلمة الله وعملت بها .

متى . سأحفظ متى للمسيحيين . فالذين يرتاحون الى المؤسسة سيجدون أنفسهم في تلك الجماعة المحكمة التنظيم والحريصة على المحافظة على سلامة التعليم . والمسؤولون عن الكنائس ، بأية صفة كانت ، سيستفيدون بإعادة قراءة « الحق القانوني » الذي قاعدته الأساسية هي الرحمة والغفران (متى ١٨) .

متى حريص على « رعائيات الفهم » : فالايمان هو ، قبل كل شيء ، انضمام كياننا كله الى يسوع المسيح ، ولكنه أيضاً تغذية فهمنا وعدم اهمال مضمون ايماننا ، لأننا كائنات ذوو وعي وادراك . فسنحبّ تلك الخطب الكبرى المرتّبة ، وتلك الوحدات في المعجزات أو الأمثال ، التي تظهر بمظهر « تعليم مسيحي للبالغين » .

والكنيسة بعد المجمع الفاتيكاني الثاني تجد نفسها في اهتمامها بـ « التحديث » ، بتجدّدها الباطني للكشف عن وجهِ ليسوع المسيح يزداد أمانة للوجه الحقيقي . فمتى يذكّرنا بأن الكنيسة لا وجود لها من أجل نفسها ، بل من أجل العالم . وليس للمؤسسة أية غاية إلّا للمساعدة على مزيد من التأهّب لخدمة المؤمنين .

يوحنا . النفس المشاهِدة هي التي تستطيع أن تتذوّق انجيل يوحنا ، كما أن الأولاد لا يجدون صعوبة في قراءته . فإن يوحنا يجسّد فكره في صور كبيرة تؤثّر فيهم ، كالخبز والماء والنور . . . وهم يتيهون في تفاصيل الأناجيل الأخرى . فما في انجيل يوحنا من بساطة عجيبة — في المواضيع والمفردات — يمكّنهم من إجراء اختبار ، على مستواهم ، للحياة مع يسوع .

وبعد ذلك العمر ، يخفّ الاهتمام عادةً . فالمراهقون ينفرون ، كما يقولون ، من يسوعٍ باطنيّ الى حد الإفراط ، يبدو لهم تافهاً وذا لُطف متكلَّف .

ويعود الناس إليه في سن الكهولة ولا يعودون يغادرونه ، شرطَ أن يكونوا مؤمنين حقّاً . فالراهب

والراهبة والعلماني المولعون بيسوع المسيح يشعرون بأن الروح يجذبهم فيه الى «الحق كله» الحالّ في الذي هو كلمة الله. وفي دوائر واسعة متحدة المركز، يخطفهم الانجيلي (الذي مثّله الرسّامون بالعقاب) الى أعماق تلك الحياة الأبدية التي بدأت منذ الآن بقدر ما نحبّ اخوتنا.

الرؤيا

يشبه كاتب الرؤى الى حدٍّ ما قافز القفز الطويل. على القافز أن يذهب الى أبعد ما يمكن، انطلاقاً من نقطة معيَّنة. فيبتدئ، لذلك، بالرجوع ثلاثين أو أربعين متراً الى الوراء، ثم يجتازها بأقصى سرعة، وحين يصل الى خشبة الانطلاق، يقفز في الاتّجاه نفسه.

يريد كاتب الرؤى أن يلقي ضوءاً على حياتنا الحالية، بعرضه لنا آخِر الأزمنة. لذلك، يرجع في الزمن ويجتازه بسرعة، محاولاً أن يستخلص كيف يتصرّف الله مع الانسان، وعند وصوله الى زمنه، يقفز، أي يجعل في المستقبل ذلك التدبير الالهي الذي اكتشفه.

فالكتاب المقدس ينتهي، كما بدأ: برؤية. ان فصول سفر التكوين الأولى، في رؤية شعرية، جعلت في بدء الأزمنة تدبير الله في شأن العالم والانسانية، كما اكتشفه الشعب بفضل عدة قرون من التاريخ. أمّا كاتب الرؤيا فإنه يجعل في آخر الأزمنة ما شعر به بفضل خمسين سنة من الحياة المسيحية. وبما أن ما يعرضه هو القوانين الكبرى للتصرّف الالهي، فنستنير به لوضعنا الحالي.

كتبه «يوحنا» (مَن هو؟ كاتب الانجيل الرابع؟ يوحنا آخَر؟) في حوالى ٩٥. في هذا الكتاب ثلاثة أقسام:

١. **الكنيسة المتجسّدة** (١ — ٣). تلك الرسائل الى «الكنائس السبع»، أي الكنيسة كلها، من خلال جماعات معيَّنة، هي «فحص ضمير».

٢. **الكنيسة الملتزمة** (٤ — ٢٠). بعد أن حدَّد يوحنا صلة الكنيسة بإسرائيل (الشعب اليهودي) (٤ — ١١)، يرينا الكنيسة في صراع مع القوى البشرية الشمولية (١٢ — ٢٠).

٣. **الكنيسة المتجلّية** (٢١ — ٢٢). الفرح

طافح. يقول الله: «هاءنذا أجعل كل شيء جديداً». نلمح نهاية تلك القصة. قصة الحب: فالكنيسة، خطيبة الله، بعدما طهّرها المسيح، تظهر مزيَّنة بالتحف التي وهبها لها.

ذلك هو يقين المؤمن: التاريخ البشري له معنى. فالبشرية، في سيرها نحو السعادة، في قلب الصراعات من أجل الانسان، التي يشنّها المؤمنون وغير المؤمنين، تنقاد نحو أجلها الى الكنيسة التي ليس لها سوى صلاة واحدة. تلك الصلاة التي يتمتمها الروح فيها: «نعم! تعالَ أيها الرب يسوع!».

ابتدئ بأوضح الفقرات:

الرسائل الى الكنائس السبع: ١ — ٣.
رؤية الله والحَمَل: ٤ — ٥.
رؤية المرأة التي تلد (أي الكنيسة، نحن كلنا الذين علينا أن نلد، في الألم، المسيح واخوتنا): ١٢.
رؤية أورشليم السماوية: ٢١ — ٢٢.

حتى في هذه الفصول، قد تبدو لنا بعض الصور غامضة: يجب ألّا نتوقّف كثيراً لنجد، مهما كلّف الأمر، معنى كلّ من الصور. فالأفضل أن نبقى في شيء من الغموض وأن نتشرّب انطباعاً اجماليّاً، وألّا نستخلص تفسيرات منحرفة.

ويمكننا عندئذ أن نقرأ مجمل الكتاب في ضوء ما اكتشفناه في تلك الفصول. فسنكتشف، في سير قراءتنا، كثيراً من النصوص المفيدة، ولاسيّما كثيراً من الأناشيد التي تحملنا على التسبيح. قد لا نفهم كل شيء (وهذا شأن أهل الاختصاص أنفسهم!)، لكن هذا الكتاب الرائع يضعنا في أجواء سجود وينعش رجاءنا: أيّاً كان الوضع البشري، فالمسيحي لا ييأس أبداً: يسوع هو الغالب!

قيمة العهد القديم الحالية؟

بعد أن أصبح بين أيدينا العهد الجديد. ما الفائدة في العهد القديم؟ هناك اعتبارات كثيرة. أختار منها اثنين:

١. العهد الجديد «فهرس» العهد القديم

من المفيد دائماً أن يستهل الانسان قراءة كتاب من الكتب بإلقاء نظرة الى الفهرس. وان كان هذا الفهرس مُتقَناً، يستخلص من مطالعته فكرة اجمالية عن المواضيع التي يتناولها الكتاب. وتكون العناوين أشدّ ايحاء بعد قراءة الفصول الملخَّصة بهذه العناوين.

والحال ان كثيراً من عبارات العهد الجديد، وكثيراً من الألقاب التي أُطلقت على يسوع هي ملخَّص أو نتيجة لموضوع يسري في صفحات العهد القديم.

ان المناداة بيسوع «ابناً لداود» تختلف كل الاختلاف عن افادة أحوال شخصية، فهي برنامج ديني وسياسي. وحين صرَّح يسوع بأنه «ابن الانسان»، ندَّد عظماء الكهنة بالتجديف. وهناك كلمات كراعٍ وكرمة وبحر وعرس... تذكّر معاصري يسوع بفصول كثيرة من الكتب المقدسة. ولمَّا أراد المسيحيون أن يعبّروا عن معنى موت يسوع، لم يحتاجوا الى جمل طويلة، كـ«لم يعان يسوع موته، بل اختاره وجعل منه تقدمة من أجل جميع الناس... لقد رضي الله بذبيحته، الخ». اكتفوا بالقول ان يسوع صعد نحو الموت بصفته «العبد المتألّم». هناك أداة تساعدك على اكتشاف تلك المواضيع: «معجم اللاهوت الكتابي».

٢. العهد القديم: مغامرة نقوم بها اليوم

كان اعتبارنا الأول عقليّاً: فَهْم العهد الجديد. أمَّا الاعتبار الثاني فهو وجودي: بالعهد القديم

يصبح العهد الجديد (حتى الأناجيل) عملياً في حياتنا وبنادينا. انظر الى طريقة يسوع التربوية مع تلاميذ عمّاوس (لو ٢٤ / ٣١ – ٣٦).

من قناعات المسيحيين الأولين أن الله جعل شعبه يختبر مسبقاً جميع آمالنا واختباراتنا البشرية. وقد عبَّر بولس عن ذلك بقوله ان احداث اسرائيل هي «تصاميم» لنا أو «صُوَر» (١ قور ١٠ / ٦ و ١١). يترجمون عادة الكلمة اليونانية «تيبُس» بـ «نموذج». والحال ان «تيبُس» هو عكس النموذج. فالمهمّ في «النموذج» هو هذا النموذج لا صورته. وأمّا في التصميم فالعكس. ان أنجز مهندس في مختبر تصميماً لسدّ يرغب في بنائه، وان أنجزت خيَّاطة تصميماً من ورق جرائد للفستان الذي تريد تفصيله، فالمهم يكون السدّ أو الفستان. فالتصميم هو نوع من استباق الحقيقة التي يتصوّرها عقل بشريّ مسبقاً.

فالأحداث التي عاشها اسرائيل، وان كانت حقيقية وخاصّة به، هي «تصميم» أو «صورة» لأحداثنا. وبما أننا نؤمن باله يعمل في التاريخ، نعترف بأن تلك الأحداث لها وجود أيضاً بالنسبة الى الحقائق المستقبلية، أي الى المسيح والمسيحيين. كما أن ما أتأمّل فيه مسبقاً في تصميم السدّ هو تحقيقه، كذلك ما أتأمّل فيه في العهد القديم هو حياة المسيح وحياتي. فتلك الأحداث تعنيني مباشرة، لكنها، بتعبيرها عن حياتي، توجّهها نحو المسيح وتُدخلها في دينامية توصلها إليه.

محتويات الكتاب

منشورات:
دار المشرق ش م م
ص.ب: ٩٤٦ - بيروت، لبنان

صدر من سلسلة «دراسات في الكتاب المقدّس»:

التوزيع:
المكتبة الشرقية - ساحة النجمة
ص.ب: ١٩٨٦ - بيروت، لبنان

جمعيات
الكتاب المقدس في المشرق
ص.ب: ٧٤٧ - ١١ بيروت، لبنان